الدرس الدلالي في سورة فاطر

أ.د/ ممدوح إبراهيم محمود محمد
قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدرس الدلالي في سورة فاطر

أ.د/ ممدوح إبراهيم محمود محمد
قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٤/ ٤/ ١٤٤٣ هـ تاريخ قبول البحث: ٦/ ٦/ ١٤٤٣ هـ

ملخص الدراسة:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن بعض أسرار القرآن الكريم وخصائصه وإيحاءاته الدلالية ببيان بديع استعماله من حيث البناء اللغوي للكلمات والجمل والعبارات والأساليب، وعلاقة هذا البناء بالدلالة، فنبحث من خلال سورة (فاطر) عن دور الأصوات وحروف المعاني وانتقاء المفردات والصيغ الصرفية والتراكيب النحوية والأساليب البلاغية وما لذلك من قيم دلالية وتعبيرية موحية.

وقد توصل البحث إلى أن للنص القرآني خصوصية متفردة في شتى أركانه، في حروفه أداء ونطقا وائتلافا وتبدلا، وفي كلماته ومفرداته وما تتميز به من قيمة جمالية في موقعها لا يصح وقوع غيرها في الموقع نفسه، وفي جمله وتراكيبه، وفي أساليبه البارعة المبهرة، بل في كل ما يتعلق به. وكذا اتضح من خلاله دقة المفردة القرآنية في الاستعمال أو الوضع حتى تبدو بطريقة استعمالها وبدقة دلالتها كأنها فوق اللغة؛ لأنها في القرآن تظهر في تركيب ممتنع يصعب الإتيان بمثله بل يستحيل حتى على الخاصة، وتكوّن بتركيبها المعجز طبقة خاصة داخل طبقات اللغة، وأن القرآن الكريم يختار المفردة اختيارًا دقيقًا يتناسب مع مضمون الخطاب، فكانت له خصوصيات في استعمال الألفاظ مما يدل على القصد الواضح في انتقاء المفردة من دون غيرها في هذا الموضع أو ذاك حتى أضحت كالعقد الثمين ذي الفصوص المتنوعة.

الكلمات المفتاحية: الدرس – الدلالي – سورة – فاطر.

The semantic lesson in Surat Fatir

Dr. Mamdouh Ibrahim Mahmoud Mohammed
Department of syntax, morphology and philology – Faculty Arabic Language
Imam Muhammad bin Saud Islamic university

Abstract:

This research aims to reveal some Noble Qur'an's secrets, its characteristics, semantic revelations with their fantastic usage in terms of the linguistic structure of words, sentences, phrases, and styles. The relationship of this structure to semantics, so we search through Surat (Fatir) about the role of sounds, letters of meaning, the selection of vocabulary, morphological formulas, grammatical structures, rhetorical methods, and the indicative and expressive suggestive values of that.

The research concluded that the Qur'anic text has a unique peculiarity in its various pillars, in its letters, performance, pronunciation, combination, alteration, and in its words and vocabulary and what is distinguished by its aesthetic value in its location. Everything related to it. Likewise, it became clear through the accuracy of the Qur'anic vocabulary in use or placement. So that , it appears in the manner of its use and the accuracy of its significance as if it is above the language. In the Qur'an, it appears in an impossible combination that is difficult to come up with and even impossible for the elite. With its miraculous structure, it creates a special layer within the layers of the language, and that the Holy Qur'an carefully chooses the word in proportion to the content of the discourse. It had peculiarities in the use of words, which indicates the clear intent in selecting the word over others in this place or that until it became like a precious necklace with various lobes.

key words: The lesson – semantic – Surat - Fatir.

مقدمة

الحمد لله أهل الحمد ومستحقه، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه الغر الميامين.

وبعد ،،،

فاللغة العربية من أشرف اللغات وأوسعها وأفضلها، والقرآن الكريم – وقد نزل بهذه اللغة الشريفة – هو حبل الله المتين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لأنه منزل من لدن حكيم خبير، وهو معجزته الخالدة والتي تحدى بها فصحاء العرب فعجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته وهو أقل ما يكون التحدي. فهو معجز بنظم أسلوبه، وبجرس ألفاظه، وأصوات كلماته، إذ يلحظ الناظر فيه والمتتبع لأساليبه التزامًا معينًا في بعض الأساليب، ويرى أنماطًا كثيرة في التصوير والتعبير قد يعرف بعض أسرارها ثم يخفى عليه الكثير من الأسرار.(١)

ونظرًا لما يتميز به الأسلوب القرآني من خصائص وسمات تجعله في المرتبة الأعلى في الفصاحة والبلاغة أردت أن أكشف عن بعض أسراره وخصائصه وإيحاءاته الدلالية من خلال سورة (فاطر).

ويهدف هذا البحث إلى بيان الخصائص والسمات التي يتميز بها الأسلوب القرآني وتجعله في المرتبة الأعلى في الفصاحة والبلاغة لاسيما من جهة استعماله الحروف والألفاظ والصيغ والتراكيب بدقة متناهية في التعبير

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن ٢ / ٢٢٢ .

عن الدلالات المقصودة؛ لذا أردت الكشف عن بعض أسراره وخصائصه الدلالية وتباين أساليبه، وبديع استعماله للكلمات والجمل والعبارات وبلاغة تراكيبه من خلال سورة (فاطر)، فنبحث من خلال السورة الكريمة عن دور الأصوات وحروف المعاني وانتقاء المفردات والصيغ الصرفية والتراكيب النحوية والأساليب وما لذلك من قيم دلالية وتعبيرية موحية.

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي، وما يتطلبه من التحليل الكامل لمقاطع السورة الكريمة في ضوء أهدافها ومدى اتفاقها مع الغرض العام من السورة الكريمة.

وأما عن الدراسات السابقة فلم أجد دراسة عنيت بالدراسة الدلالية لحروف ومفردات وصيغ وتراكيب وأساليب السورة الكريمة، وإنما وجدت ست دراسات ترتبط بالسورة الكريمة وهي على النحو التالي:

١. (تأملات في سورة فاطر) لنجلاء السبيل وهي مختلفة تمامًا عن هذه الدراسة حيث جاءت في صورة لقاءات وعظية أو منبرية.
٢. (تفسير سورة فاطر) للدكتور عبد الحسيب طه وهو تفسير بلاغي.
٣. تفسير القرآن الكريم سورة فاطر للشيخ محمد بن صالح العثيمين وهو بعيد تماما عن دراستي هذه.
٤. التقابل الدلالي في سورة فاطر مدخل أسلوبي بلاغي للدكتور عبدالرحمن بن عوض العمري الحربي وهو بحث بلاغي لظاهرة التقابل ويقع في ٣٥ صفحة وقد نشر في مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية عام ٢٠١٩م ولا علاقة له ببحثي هذا.

٥. "متشابهات سورة فاطر وانفراداتها" بحث صغير في تسع صفحات في الإنترنت لباحث مجهول ولا علاقة له أيضا ببحثي هذا.

٦. أثر السياق في تفسير القرآن الكريم سورة فاطر نموذجا- مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس – قسم اللغة العربية وآدابها – معهد اللغات والأدب العربي بالجزائر ٢٠١٢م للطالبة/ صبرينة روام، وقد جاءت في إحدى وخمسين صفحة منها إحدى وثلاثين صفحة عن السياق كنظرية، وسبع صفحات فقط هي عبارة عن تفسير لأجزاء من الآيات في السورة، ولا تمت لدراستي بصلة ولا يوجد منها أي شيء يرتبط بدراستي.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس. على النحو التالي:

المقدمة: وفيها تحدثت عن القرآن الكريم وإعجازه، وخطة البحث.

أما التمهيد: ففيه تحدثت عن السورة الكريمة من حيث اسمها، ومناسبتها لما قبلها، وفضلها، وسبب نزولها.

المبحث الأول: مناسبة الألفاظ للمعاني في السورة.

المبحث الثاني: التضمين، وتعدد المعنى في السورة.

المبحث الثالث: التطور الدلالي في السورة.

المبحث الرابع: دلالة السياق في السورة خصائصها وأسرارها.

الخاتمة: وفيها أوجزت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

فهرس المصادر والمراجع:

وإني لأتوجه بكل شكر وتقدير إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في عمادة البحث العلمي لتمويلها هذا المشروع البحثي ذي الرقم (٠٠٣ – ٠٤ – ١٣- ٢٠)، واهتمامها به في مراحله المختلفة حتى انتهى على الصورة التي هو عليها الآن.

وبعد فإني أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت فيما صبوت إليه إنه نعم المولى ونعم النصير، والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعني يوم العرض عليه، وإن كان فيه من تقصير فالله الكامل والنقص في الناس شامل، وهذه سنة الله في خلقه آملًا في تصويب ما به من خطأ أو تكميل ما فيه نقص.

﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [سورة هود:٨٨].

تمهيـــــد: التعريف بالسورة

التسمية وسببها:

سميت السورة الكريمة التي نحن بصددها باسم سورة فاطر، أو باسم سورة الملائكة يقول الشيخ ابن عاشور: "سميت (سورة فاطر) في كثير من المصاحف في المشرق والمغرب، وفي كثير من التفاسير، وسميت في صحيح البخاري وفي سنن الترمذي وفي كثير من المصاحف والتفاسير (سورة الملائكة) لا غير، وقد ذكر لها كلا من الاسمين صاحب الإتقان.[١]

أما سبب التسمية: فللعلماء في بيان وجه تسمية السورة الكريمة باسم (سورة فاطر) أقوال عدة أهمها: ذكر هذا الوصف (فاطر) في طالعة السورة ولم يقع في أول سورة أخرى.[٢] وذلك لما في هذا الوصف من الدلالة على الإبداع والاختراع والإيجاد لا على مثال سابق، ولما فيه من التصوير الدقيق المشير إلى عظمة ذي الجلال، وباهر قدرته، وعجيب صنعه، فهو الذي خلق الملائكة وأبدع تكوينهم بهذا الخلق العجيب.[٣] وقيل: إن لاسم السورة أتم مناسبة لمقصودها؛ لأنه لا شيء يعدل ما في الجنة من تجدد الخلق فإنه لا يؤكل منها شيء إلا عاد كما كان في الحال، ولا يراد شيء إلا وجد في أسرع وقت فهي دار الإبداع والاختراع بالحقيقة وكذا النار.[٤]

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢ / ٢٤٧.

(٢) السابق نفسه.

(٣) صفوة التفاسير ٢ / ٥٦٣، ٥٦٤.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦ / ١٩٩.

أما تسميتها باسم (سورة الملائكة): فلأنها ذكر في أولها صفة الملائكة ولم يقع في سورة أخرى.[١] وقيل: لأنهم يبدعون خلقًا جديدًا كل واحد منهم على صورته التي أراد الله كونه عليها، لا يزاد فيها ولا ينقص، كلما أراد الله ذلك من غير سبب أصلا غير إرادته المطابقة لقدرته -سبحانه وعز شأنه- وهم من الكثرة على وجه لا يحاط به.[٢]

فضل سورة فاطر:

لسورة الملائكة أو فاطر فضائل عظيمة أهمها أنها في قراءتها تعد مدخل المؤمنين للجنة. يبدو ذلك واضحًا من قول رسول الله ﷺ: "من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن أدخل من أي باب شئت".[٣]

سبب نزولها:

نزلت سورة فاطر بعد سورة الفرقان وقبل سورة مريم، وهي مكية بالاتفاق. وقد عدت آيها في عد أهل المدينة والشام ستًا وأربعين، وفي عد أهل مكة والكوفة خمسًا وأربعين.[٤] أما سبب نزولها فقد ذكر السيوطي أسبابًا عدة تختلف باختلاف آياتها فقال: "أخرج جوبير عن الضحاك عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [سورة فاطر:٨].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢ / ٢٤٧.

(٢) نظم الدرر ٦ / ١٩٩.

(٣) انظر هذا الحديث في: "ترتيب الأمالي الخميسية للشجري ١٣١/١، وتخريج الحديث والآثار ١٥٨/٣، والكشاف ٦٢٩/٣".

(٤) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٤٧.

حيث قال النبي ﷺ: اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام فهدى الله عمر وأصل أبا جعل ففيهما أنزلت. وأخرج عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره عن ابن عباس أن حصين بن الحرث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي نزل فيه قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة فاطر:٢٩]، وأخرج البيهقي في البعث وابن أبي حاتم من طريق نفيع بن الحرث عن عبد الله بن أوفى قال: قال رجل للنبي ﷺ يا رسول الله إن النوم مما يقر الله به أعيننا في الدنيا فهل في الجنة من نوم: قال: لا إن النوم شريك الموت، وليس في الجنة موت. قال: فما راحتهم؟ فأعظم ذلك رسول الله ﷺ وقال: ليس فيها لغوب كل أمرهم راحة فنزلت:﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾ [سورة فاطر:٣٥]. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي هلال أنه بلغه أن قريشا كانت تقول لو أن الله بعث منا نبيا ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالقها ولا أسمع ولا أشد تمسكا بكتابها منا فأنزل الله: ﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ١٦٧ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [سورة الصافات:١٦٨].

﴿لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ﴾ [سورة الأنعام:١٥٧].

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ﴾ [سورة فاطر:٤٢].

وكانت اليهود تستفتح به على النصارى فيقولون: إنا نجد نبيًا يخرج.(١)

(١) لباب النقول في أسباب النزول ص ١٨١، ١٨٢.

المبحث الأول: مناسبة الألفاظ للمعاني في السورة

ثارت تساؤلات عدة حول طبيعة الصلة بين اللفظ والمعنى، أهي صلة طبيعية؟ فتكون معها دلالة الألفاظ على معانيها ذاتية، بمعنى أن كل صوت يرمز إلى معنى، فتكتسب الألفاظ دلالتها من خلال جرس أصواتها، وينشأ ما يسمى بالمناسبة الطبيعية بين الأصوات والدلالات، وهذا ما أيده هيرقليطس (ت ٤٨٠ ق. م) وأفلاطون من اليونان، وعباد بن سليمان الصيمري والمعتزلة وابن دريد وابن جني وابن فارس من العرب. أم أن هذه الصلة اصطلاحية مصطنعة يفرضها الإنسان بمحض إرادته، باختياره اسمًا لكل مسمى تواضعًا واتفاقًا؟ فتكون الألفاظ رموزًا لغوية اصطلاحية تنفي التلازم الدائم والطبيعي بين الصوت والمعنى أو بين اللفظ ودلالته وهذه ما أيده ديمقريطس في القرن الخامس قبل الميلاد، وأرسطو من علماء اليونان، وجمهور الأصوليين العرب. كذا كانت هذه الظاهرة محور جدال بين اللغويين المحدثين شرقًا وغربًا.(١) ويرى أكثرهم أن المناسبة بين اللفظ ومعناه عرفية وليست ذاتية أو طبيعية فهي لم تنشأ مع تلك الألفاظ أو تولد بمولدها، وإنما نكتسبها اكتسابًا بمرور الأيام وكثرة التداول والاستعمال.(٢)

وأرجح هذه الآراء أن في لغتنا العربية ألفاظًا ثبتت فيها مناسبة اللفظ لمعناه عن طريق الموازنة بين الحروف المكونة منها الكلمة حين تقابل

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: الدلالة اللغوية عند العرب ص ٢٠٣ وما بعدها.

(٢) نظرات في دلالة الألفاظ ص ١٠٠ وما بعدها .

بكلمة أخرى تضارعها مع اختلاف حرف واحد بينهما أو أكثر فيشترك اللفظان في معنى عام يجمعهما مع اختلاف في درجة المعنى وجهة استعماله طبقا لخصائص الحروف أو يتقارب المعنيان لتقارب الحروف بينهما، كما بين هذه المناسبة ومدى ظهورها ووجودها في لغة العرب من خلال دراسة دلالات الصيغ الصرفية ومناسبة كل صيغة لمعناها الذي وردت به، وهو ما وضحه ابن جني تفصيلا في كتابه الخصائص في ثلاثة أبواب هي: "باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني" و "باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" و "باب قوة اللفظ لقوة المعنى". لكن ما يجب التنبيه عليه أن هذه الألفاظ التي ثبتت فيها المناسبة بين اللفظ والمعنى لا تعم جميع ألفاظ اللغة، بل في طائفة محددة من الكلمات.

ونود – هنا – من خلال السورة الكريمة أن نقف على بعض مظاهر هذه المناسبة بين اللفظ ومعناه وذلك على النحو التالي:

أولا: مناسبة الحرف للمعنى في السورة الكريمة (مقابلة الأصوات بما يشاكل أصواتها من الأحداث):

كثيرًا ما يجعل العرب أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، فللصوت قيمة تعبيرية ترتبط بمعناه أشد الارتباط، ولتظهر الدلالة الصوتية للصوت والقيمة التعبيرية الموحية له. وقد ذكر ابن جني (رحمه الله) لهذه الظاهرة نماذج عدة بين فيها القيمة التعبيرية للصوت، وكيف كان الصوت المعين موحيًا بالمعنى المناسب سواء

أكان في أول اللفظ أم في وسطه أم في آخره.[١] وقد ورد في السورة الكريمة من هذه الظاهرة لفظ (جدد) في قوله – تعالى –: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [سورة فاطر:٢٧][٢] يقول د/ تمام حسان: " كان يمكن لهذا المعنى أن يوصل إليه بواسطة استعمال لفظ (صخور) ولكن حروف هذه الكلمة هي: صاد رخوة ثم خاء رخوة ثم راء تكرارية وفي الرخاوة رخاوة، وفي التكرار تخلخل. أما لفظ (جدد) فالشدة واقعة في كل حرف من حروفه مما يوحي بالقوة التي تتناسب مع تركيب الجبال".[٣] فالقيمة التعبيرية لهذه الكلمة وإيحاءها بالمعنى ظهرت من خلال تخصيص أصواتها القوية بالمعنى الأقوى، وأن ذلك لم يأت عن طريق الاصطلاح أو تعارف الناس على ذلك، وإنما كان حذوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث كما ذكر ابن جني. أي محاكاة للأصوات في الطبيعة، أو في الأحداث.

ثانيا: مناسبة الصيغة الصرفية للمعنى في السورة الكريمة

تنقسم الألفاظ المزيدة بحرف أو أكثر إلى نوعين هما: الزيادة بتضعيف العين، والزيادة بإضافة صوت أو أكثر على أصل الكلمة أو الصيغة. وعلى هذا فالزيادة في اللفظ يتبعها زيادة في المعنى، إذ نلحظ أن العلاقة

---

(١) الخصائص ٢/ ١٥٩ وما بعدها .

(٢) سورة فاطر من الآية (٢٧) .

(٣) البيان في روائع القرآن ٢/ ٨٢ .

كائنة دائمًا بين حجم الكلمة وطبيعة بنائها الداخلي. وهذا ما وضحه ابن جني بقوله: "وبعد فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني، ثم زيد فيها شيء، أوجبت القسمة له زيادة المعنى به. وكذلك إن انحرف به عن سمته وهديته كان ذلك دليلًا على حادث متجدد له، وأكثر ذلك أن يكون ما حدث له زائدًا فيه لا منتقصًا منه".(١)

وقد نزع كثير من نقاد الأدب العربي القديم منزع بعض اللغويين في محاولة عقد الصلة بين اللفظ ومعناه، فهذا هو "ابن الأثير"، يكمل ما بدأه "ابن جني" وأسلافه من علماء اللغة، حول مناسبة الألفاظ للمعاني، فيقول: "اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا".(٢) وذكر "ابن الأثير" لها عددًا من الأمثلة. ومن هنا نشأت الفكرة التي تقول إن "زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى". وتتحقق هذه المناسبة في قوالب لغوية وبنيات شكلية تستجيب لها الدلالة وتتغير المعاني بمقتضاها، وتظهر في صور عدة منها ما يلي:

أ. الزيادة بتضعيف العين:

تضعيف العين في صيغة (فعَّل) يدل على قوة المعنى؛ إذ في تكرارها دلالة على قوة الفعل وتكرار حدوثه وهذا ما وضحه ابن جني بقوله: "ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل،

---

(١) الخصائص ٣/٢٦٨.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ٢/ ٥٦

فقالوا: كسر، وقطع، وفتح، وغلق. وذلك أنهم جعلوا الألفاظ دليلة المعاني، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنها واسطة لهما، مكنوفة بهما، فصارا كأنهما سياج لها ومبذولان للعوارض دونها. ولذلك تجد الإعلال بالحذف فيهما دونها. فأما حذف الفاء ففي المصادر من باب وعد نحو: العدة، والزنة وأما اللام فنحو: اليد، والدم، والفم .... وقلما نجد الحذف في العين. فلما كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها، وجعلوه دليلًا على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل .... ولم يكونوا ليضعفوا الفاء ولا اللام لكراهية التضعيف في أول الكلمة، والإشفاق على الحرف المضعف أن يجيء في آخرها، وهو مكان الحذف وموضع الإعلال، وهم قد أرادوا تحصين الحرف الدال على قوة الفعل. فهذا أيضًا من مساوقة الصيغة للمعاني".(١)

ومما يؤيد صحة كلام ابن جني ما ورد في السورة الكريمة وهو قوله – تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾(٢) بتشديد الميم في (يعمر ومعمر)، كذا قوله ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾(٣) يقول ابن عاشور: "التعمير: جعل الإنسان عامرا، أي باقيا في الحياة، فإن العمر هو مدة الحياة، يقال: عَمر فلان كفرح ونصر وضرب: إذا بقي زمانا، فمعنى (عمّره) بالتضعيف: جعله باقيا مدة زائدة على المدة المتعارفة في أعمار الأجيال، ولذلك قوبل

(١) الخصائص ٢ / ١٥٧.

(٢) فاطر من الآية (١١) .

(٣) فاطر من الآية (٣٧) .

بالنقص من العمر، ولذلك لا يوصف بالتعمير صاحبه إلا بالمبني للمجهول فيقال: عمر فلان فهو معمر. وقد غلب في هذه الأجيال أن يكون الموت بين الستين والسبعين فما بينهما فهو عمر متعارف، والمعمر الذي يزيد عمره على السبعين، والمنقوص عمره الذي يموت دون الستين ...."[1] أرأيت كيف كان لتضعيف العين دوره البارز في تحديد المقصود من اللفظ في السياق وكيف أضاف معنى سياقيًا زائدًا على معناه الأصلي لم يفد من دونه، فزيادة المبني بتضعيف العين في اللفظ أدت إلى قوة المعنى وزيادته. ومن ذلك قوله ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [سورة فاطر:٣٢]، قرأ أبو عمرو (سباق) بصيغة المبالغة.[2] فالعدول باللفظ من معتاد حاله أي العدول عن صيغة فاعل في سابق إلى صبغة (فعَّال) في سباق تكثير للمعنى أو زيادة للمعنى بسبب زيادة اللفظ.

ب . الزيادة بإضافة صوت أو أكثر على أصل البنية:

لكل صيغة في العربية خصوصية في الاستعمال تنبع من السياق الواردة فيه وفي السورة الكريمة نجد صيغا مزيدة قد استعملت على نحو خاص لتحقق دلالة معينة يقتضيها المقام ومن ذلك ما يلي:

١ . صيغة (افتعل):

تأتي هذه الصيغة في اللغة للدلالة على معان عدة أهمها: الدلالة على الاجتهاد والطلب نحو: استرق، واكتسب، والدلالة على الاتخاذ نحو: اتقى

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٧٧ .

(٢) روح المعاني ٢٢/ ١٩٨ .

بمعنى اتخذ وقاية، وافترش التراب، والتحف السماء، وامتطى الدابة، والمطاوعة. إذ يكثر مجيؤه مطاوعا للثلاثي مثل: جمعته فاجتمع، ومزجته فامتزج. وربما جاء مطاوعا للمضعف ومهموز الثلاثي مثل: قربته فاقترب، وأنصفته فانتصف، والدلالة على المشاركة مثل: اختصم، واقتتل، والإظهار مثل: امتثل، واعتذر، والتخير مثل: انتخب، واختار، واصطفى، والمبالغة في معنى الفعل مثل قوله – تعالى –: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ [سورة ق:٤١][1] ، وقد يأتي مغنيًا عن المجرد مثل: ارتحل الخطبة، واستلم الحجر.[2] وفي السورة الكريمة وردت هذه الصيغة أكثر من مرة على نحو خاص تدل دلالة بينة على قوة المعنى، وذلك بالمقارنة بين ورود الفعل مجردًا تارة وورود مزيدًا على حقيقة الافتعال تارة ثانية. ومن ذلك قوله – تعالى –: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾[3] فلفظ (المقتصد) وهو اسم فاعل قد ورد على صيغة (مفتعل) ولم يرد على صيغة (فاعل) وهو الأصل، مع وجود صيغة (فاعل) فيما تقدمه وهو (ظالم) وما لحقه وهو (سابق) وهو من القصد؛ وذلك لأن في صيغة (مقتصد) قوة وتعمد في الفعل ليست في صيغة قاصد. ففي الافتعال قوة وتردد أو مغالبة وهو ما وضحه الرازي في قوله: "المختار هو

(١) سورة ق آية (٤١) .

(٢) انظر الكتاب ٤/ ٧٣: ٧٤، وشرح الشافية ١/ ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٣) فاطر من الآية (٣٢) .

أن الظالم من خالف فترك أوامر الله وارتكب مناهيه فإنه واضع للشيء في غير موضعه، والمقتصد هو المجتهد في ترك المخالفة وإن لم يوفق لذلك وندر منه ذنب وصدر عنه إثم فإنه اقتصد واجتهد وقصد الحق، والسابق هو الذي لم يخالف بتوفيق الله ويدل عليه قوله – تعالى – (بإذن الله) أي اجتهد ووفق لما اجتهد فيه وفيما اجتهد فهو سابق بالخير يقع في قلبه فيسبق إليه قبل تسويل النفس، والمقتصد يقع في قلبه فتردده النفس، والظالم تغلبه النفس. ونقول بعبارة أخرى: من غلبته النفس الأمارة وأمرته فأطاعها ظالم، ومن جاهد نفسه فغلب تارة وغلب أخرى فهو المقتصد، ومن قهر نفسه فهو السابق".[١] ففي "الاقتصاد افتعال من القصد وهو ارتكاب القصد وهو الوسط بين طرفين يبينه المقام، فلما ذكر هنا في مقابلة الظالم والسابق علم أنه مرتكب حالة بين تلك الحالتين فهو ليس بظالم لنفسه وليس بسابق".[٢]

ومثله قوله – تعالى : ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾[٣] والاتخاذ أقوى معنى من الأخذ لما فيه من التكلف ومجاهدة النفس في تحصيله.

– ومن ذلك لفظ (يصطرخون) في قوله – تعالى –: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ﴾[٤] إذ تتحدث الآية الكريمة عن فعل الكافرين يوم

---

(١) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٣ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٣) سورة فاطر الآية (٦) .

(٤) سورة فاطر من الآية (٣٧) .

القيامة وهم يعذبون في نار جهنم، فهم يصرخون قائلين: ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل. فاستعمل القرآن الفعل (يصطرخون) دون (يصرخون) للمبالغة؛ لأنه افتعال من الصراخ وهو الصياح بشدة وجهد، فالاصطراخ مبالغة فيه أي يصيحون من شدة ما نابهم.(١) يقول د/ تمام حسان: "فكأن ارتفاع أصواتهم بالصراخ ومشاركتهم جميعا فيه وتكرار ذلك منهم لا يكفي أن يعبر عنه بالفعل المجرد فيقال مثلا (وهم يصرخون فيها) فجاءت تاء الافتعال لتدل على المبالغة في إيقاع الحدث، وقد قصد لها أن تجاور الصاد المطبقة فتتحول بالمجاورة إلى التفخيم ليكون في تفخيمها فضل مبالغة في إيقاع الفعل".(٢) فزيادة المبني في لفظ (يصطرخون) دلت على زيادة المعنى وهو المبالغة في الحدث أو في الصفة. وهكذا يبدو لون من التناسق أعلى من البلاغة الظاهرية، وأرفع من الفصاحة اللفظية، اللتين يحسبهما بعض الباحثين في القراءة – قديما وحديثا – أعظم مزايا القرآن. وتسمع كلمة (يصطرخون) في الآية ... فيخيل إليك جرسها الغليظ، غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة، كما تلقى إليك ظل الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا يجد من يهتم به أو يلبيه. وتلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون. وحين يستقل لفظ واحد بهذه الصورة كلها يكون ذلك فنا من التناسق الرفيع.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣١٨ .

(٢) البيان في روائع القرآن صـ ٢/ ٢٠٤ .

وقد نص د/ عبدالعظيم المطعني على جرس اللفظ الناتج عن تآلف الحروف في بنية المفردة ودوره في بيان جمالية المفردة حيث قال: " الكلمة بجرسها الغليظ الصاخب ورنينها الخشن الصاك، الذي يكاد يخترق صماخ الأذن ، تمثل الموقف أدق تمثيل. فإن الصراخ المنبعث من نفوس تئن تحت وطأة العذاب صراخ عال مدو يختلط بعضه ببعض – بدءًا ونهاية – ويملأ المكان صخبًا ورنينًا. وإنك لتلحظ أثر" الصاد " و " الطاء " في إبراز الصوت بمثل هذه الصورة الغليظة، فهل كنت تحس شيئًا من ذلك لو وُضعَت كلمة " يدعون " الهادئة الوديعة مكان "يصطرخون" – الهادرة العنيفة . وهل كنت تقف على بلوغ قلقهم الذي لولا كلمة "يصطرخون" الملائمة لجوهم النفسي أدق ملاءمة وأبرعها".[١]

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته صـ ٢٦٣.

٢ . صيغة (أفعل):

تأتي صيغة (أفعل) لمعان عديدة أوردتها كتب النحو والتصريف. وأشهرها: التعدية، ومنها: الدلالة على الصيرورة، والسلب، والتمكين، والتعريض، والدخول في الشيء زمانا أو مكانا أو حكما، ومنها: الدلالة على المصادقة، والاستحقاق، والدعاء.(١) وفي السورة الكريمة وردت الصيغة أكثر من مرة للدلالة على قوة المعنى وتمكينه في النفوس ومن ذلك لفظ (أنفقوا) في قوله – تعالى –: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾(٢) فـ "النون والفاء والقاف أصلان صحيحان يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه، ومتى حصل الكلام فيهما تقاربًا".(٣) وهو لازم ويتعدى بالهمزة، وفي الآية الكريمة اقترن الفعل (أنفقوا) بالهمزة واستعمل لازما للدلالة على معنى زائد عن المجرد اللازم (نفق) وهو الترغيب في الإنفاق في الخير بدليل قوله بعده: قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾

– ومنه في السورة الفعل (أذهب) وقد ورد فيها مرتين، وقد ورد المجرد منه في اللغة لازما، أما المزيد (أذهب) فقد ورد متعديا بالهمزة في الآيتين

---

(١) الشافية في علم التصريف ص١٩ ، وشرح المفصل ٧/ ١٥٩ .

(٢) سورة فاطر من الآية (٢٩)

(٣) المقاييس (ن ف ق) .

وهما قوله: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾[1] وقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ [2] يقول ابن الحاجب مبينا أثر التعدية في الدلالة: "هي – (أي التعدية) – أن يجعل ما كان فاعلا للازم مفعولا لمعنى الجعل، فاعلا لأصل الحدث على ما كان، فمعنى أذهبت زيدا: جعلت زيدا ذاهبا. فزيد مفعول لمعنى الجعل الذي استفيد من الهمزة، فاعل للذهاب كما كان في ذهب زيد.[3] فيفهم من هذا الكلام أن تعدية الفعل بالهمزة تختلف عن التعدية في أصل الوضع؛ لأن المفعول به مع الفعل المنقول هو الفاعل الحقيقي للحدث كما كان مع الفعل اللازم، بينما يقع الحدث مع المفعول به فيما يتعدى أصالة. وإذا كان الفاعل الحقيقي للحدث مع المزيد بالهمزة هو نفسه فاعل الحدث مع الفعل اللازم، فإن الغرض من إسناد المزيد إلى فاعل جديد يكون حينئذ تحويل الإسناد يعني أن الفاعل لم يقم بالفعل مختارا، وإنما فعله مضطرا بتأثير قوة خارجة عن إرادة الفاعل الجديد مع الفعل المزيد.[4] فكأن الفعل (أذهب) في الآيتين فيه دلالة على تحويل الإسناد وهو بيان أن المذهب للخلق أو الناس، والمذهب للحزن هو اللهﷻ وحده، وفيه بيان لقوة تأثير الفاعل في

(١) سورة فاطر من الآية (١٦).

(٢) سورة فاطر من الآية (٣٤)

(٣) شرح الشافية ١/ ٨٦ .

(٤) أبنية الأفعال في القرآن صـ ٣١، ٣٢ بتصرف .

الفعل، ففي أذهب تعمد للفعل بقوة تأثيرية معينة ليست موجودة في المجرد (ذهب) الدال على محض الإرادة دون تكلف.

٣ . صيغ (المبالغة):

يحول اسم الفاعل من الثلاثي عند قصد المبالغة والتكثير إلى خمس صيغ مشهورة تسمى صيغ المبالغة وهي: فَعُول، وفعال، ومفْعال، وفعيل، وفَعل.(١) وليست هذه الأبنية ذات دلالات واحدة، بل هي مختلفة متباينة ومتفاوتة في مقدار دلالتها على الكثرة، فليس عالم مثلا كعليم علام، علما أنها جميعًا تحمل الدلالة على تكثير الفعل فلا يوصف بها إلا من دام منه أو الفعل وكثر. وقد ورد من هذه الصيغ في السورة الكريمة صيغتا فعول وفعيل، ولكل منهما دلالتها وإن اشتركا في الدلالة على الكثرة. كالتالي:

- **صيغة (فعول):**

وردت هذه الصيغة في سورة فاطر خمس مرات وفي جميعها تحمل دلالة الكثرة والزيادة عن المستوى الطبيعي فتطلق صيغة (فعول) لمن كثر منه الفعل كما ذكر السيوطي.(٢) وتوضيحها كالآتي:

١. لفظ (الغرور) في قوله – تعالى -:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ (٣) فالغرور الشيطان، وإنما

(١) الهمع ٣/ ٧٤ .

(٢) الهمع ٣/ ٧٥ .

(٣) سورة فاطر (٥) .

جيء بوصفه على صيغة (فعول) لبيان شدة تغريره بتزيينه القبائح للناس تمويها بما يلوح عليها من محاسن تلائم نفوس الناس.[1]

٢. لفظ (الحرور) في قوله – تعالى –: ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾[2]. يقول القرطبي: "قال الأخفش: الحرور لا يكون إلا مع شمس النهار، والسموم يكون بالليل ... وقال الفراء: السموم لا يكون إلا بالنهار، والحرور يكون فيهما، قال النحاس: وهذا أصح؛ لأن الحرور فعول من الحر وفيه معنى التكثير أي الحر المؤذي. قلت: وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: "قالت النار رب أكل بعضي بعضًا فأذن لي أتنفس فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم، وما وجدتم من حر أو حرور فمن نفس جهنم".[3]

٣. لفظ (غفور، شكور) في قوله تعالى:﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [4] أما (غفور) فهو مبالغة غافر وهو الذي يكثر فيه الستر على المذنبين من عباده ويزيد عفوه على

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٥٩ .

(٢) سورة فاطر الآية (٢١) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٣٩/١٤، وصحيح مسلم باب أوقات الصلاة الخمس حديث رقم (٦١٧) جـ١ ص٤٣٢ .

(٤) سورة فاطر الآية (٣٠) .

مؤاخذته.[1] وبهذا يخبر الله ﷻ عن نفسه في قوله:﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾[2] وقد جاء وصف (غفور) في القرآن الكريم لله ﷻ وحده أو لضمير يعود عليه في مواضع عدة من القرآن مما يدل على لصوق الصفة به ﷻ ويلاحظ في الآية الكريمة التي نحن بصددها أن الصفة (غفور) وكذا (شكور) قد اقترنتا بالجمع في (يؤاخذهم، وكسبوا، ولهم) للدلالة على أن المبالغة حاصلة بكثرة من يغفر لهم من عباده فقد كثر الأوابون منهم. وأما لفظ (شكور) فقال الحليمي: "الشاكر معناه: المادح لمن يطيعه والمثني عليه والمثيب له بطاعته فضلا من نعمته، قال: والشكور هو الذي يدوم شكره ويعم كل مطيع وكل صغير من الطاعة أو كبير".[3] فشكور من ألفاظ المبالغة إذ هو مبالغة شاكر، وهو من الصفات التي أتت في حق الله تارة كما في آية فاطر فهو – ﷻ – شكور للإنسان الذي يشكره فيزيده من فضله ويثيبه على شكره نعمه وآلائه، ويضاعف له أجره. وفي حق العباد تارة ثانية كما في قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[4] أي: من هو مديم الشكر الذي لا ينقطع عن شكره

(١) الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ١٥٢ .

(٢) سورة الكهف (٥٨) .

(٣) الأسماء والصفات ١/ ١١٧ .

(٤) سورة سبأ من الآية (١٣) .

وذكره في كل وقت ومع كل نعمة يهبها المولى ﷻ له. وهكذا تلتقي (شكور) في دلالتها العامة مع دلالة صيغة (فعول) وهي الدوام على العمل حتى يصبح سجية وطبيعة مركوزة في نفس الموصوف بها. وعلى هذا فالغفور والشكور صفتان له ﷻ أي: الكثير المغفرة، والكثير الشكر. فالمغفرة تأتى على تقصير العبد المطيع فإن طاعة الله الحق التي هي بالقلب والعمل والخواطر لا يبلغ حق الوفاء بها إلا المعصوم، ولكن الله تجاوز عن الأمة فيما حدثت به أنفسها، وفيما همت به ولم تفعله، وفي اللمم، وفي محو الذنوب الماضية، والشكر كناية عن مضاعفة الحسنات على أعمالهم.[1]

٤. لفظ (كفور) في قوله – تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَۖ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾[2] فالكفور هو الكافر المبالغ في كفره؛ لذا كان جديرًا بمثل هذا العذاب ليناسب مآله حقيقة حاله.[3] فكفور مبالغة كافر، والكفور: المبالغ في كفران النعمة. وهو – أي كفور – من أوصاف الإنسان التي على زنة (فعول) الدالة على الكثرة أي كثرة كفره بنعم الله. والمراد به ـ هنا ـ في الآية الكريمة: الإنسان الكافر، فلما أراد المبالغة في اسم

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣٠٨ .

(٢) سورة فاطر آية (٣٦) .

(٣) تفسير سورة فاطر صـ ٢٣ .

الفاعل حوله إلى صيغة (فعول) فأصبح المعنى: المبالغ في الجحود لنعم الله ﷻ.

- **صيغة (فعيل):**

تعد صيغة (فعيل) من أوزان المبالغة المشهورة عند النحاة، وقد وردت هذه الصيغة في السورة الكريمة كثيرا لاسيما في الفاصلة. وقد جاءت تارة محولة عن صيغة فاعل، وأخرى عن صيغة مفعول، وثالثة اسما وليست محولة عن شيء وإنما جاءت لتدل على أصل المعنى اللغوي دون زيادة.

فمن فعيل المحول من اسم الفاعل ما يلي: (قدير، العزيز، الحكيم، خبير، بعزيز، البصير، نذير، عزيز، بصير، النذير، نصير، عليم، حليم، عليما، قديرا، بصيرا). ففي هذه الألفاظ جميعها جاءت صيغة (فعيل) فيها محولة عن اسم الفاعل أي القادر، والمعز، والحاكم، والمخير، والمبصر، والمنذر، والعالم ... وأكثرها صفات له ﷻ تدل على كمال المبالغة في إحاطته بهذه الصفات. فـ (قدير) مبالغة قادر بمعنى من يفعل كل ما يريده بمقتضى حكمته لا أقل ولا أكثر من ذلك لذا فإن هذه الصفة لا تستعمل إلا مع الله تعالى، فإن استعملت مع غيره فإنها ينبغي أن تكون مقيدة ومحدودة؛ لأن غيره لو كان قادرا من جهة معينة فهو عاجز من جهة أخرى.[1] و(العزيز) مبالغة معز وهو اسم من أسماء الله تعالى وهو

(١) مفردات الراغب (ق د ر) ٢/ ٢٢٢ بتصرف .

المنيع الذي لا يغلب.[1] و(الحكيم) أي الذي يفعل أفعال الحكمة والصواب، أي بالغ الحكمة. قال بعض المفسرين: "في (حكيم) معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة إلى الشرائع وهو الحكيم اسم من أسماء الله تعالى وهو المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة".[2] و(الخبير) مبالغة خابر وهو العالم بالخبر. و(البصير) مبالغة مبصر ويقال: العالم بخفيات الأمور وهو من أسمائه الحسنى؛ ولعل هذا الوصف يكون للمبالغة إذا كان لغير الله سبحانه وتعالى، أما إذا كان في حق الله فليس فيه مبالغة وإنما يكون للدلالة على دقة العلم وسعة الاطلاع ودوامه. و(النصير) مبالغة ناصر، وهو من أسمائه الحسنى وهو الموثوق منه بأنه لا يسلم وليه ولا يخذله.[3] ومنها ما جاء وصفا لنبيه – ﷺ – كما في لفظ (نذير، والنذير) وهو مبالغة منذر وعلى هذا فتحويل اللفظ من صيغة (فاعل) إلى صيغة (فعيل) فيما سبق كان للدلالة على المبالغة في اللفظ، ومن قبيل زيادة المبني لزيادة المعنى.

ومما جاء في السورة على (فعيل) محولا عن (مفعول) (الحميد) في قوله – تعالى –: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾[4] والعدول عن صيغة (مفعول) إلى صيغة (فعيل) إنما يكون لغرض دلالي

(١) الإتقان ٣/ ٢٨٣ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ١/ ٢٨٩ .

(٣) الأسماء والصفات ١/ ١٧٨ .

(٤) سورة فاطر من الآية (١٥) .

وهو الدلالة على الاستمرار والدوام وثبات الصفة. وذلك أن صيغة (فعيل) أكثر ثباتًا من (مفعول) حيث إن (فعيل) بمعنى (مفعول) يدل على أن الوصف قد وقع على صاحبه بحيث أصبح سجية له أو كالسجية ثباتا، تقول: هو حميد، وهو محمود. وحميد أبلغ من محمود؛ لأنه يدل على ثبوت صفة الحمد. وعلى هذا فصيغة (فعيل) تطلق على من أصبح الوصف له كالطبيعة الثابتة التي لا تتبدل ولا تتغير يقول ابن طلحة: "وفعيل لمن صار له كالطبيعة".[1] فيعدل – إذن – عن مفعول إلى فعيل لتأكيد الصفة وثباتها. ومما ورد في السورة على (فعيل) وليس وصفا فيه مبالغة وتكثير وإنما اسم ذو معنى معين كما وضع في أصل اللغة دون زيادة ألفاظ: (السعير، كبير، جديد، نكير، الكبير، حرير) ففي هذه الألفاظ وإن جاءت على صيغة (فعيل) لا نلحظ زيادة في معناها على ما وضعت له في أصل اللغة، ولا مبالغة وإن استعمل بعضها وصفًا أحيانا نحو الكبير.

(١) همع الهوامع ٣/ ٧٥ .

المبحث الثاني: التضمين، وتعدد المعنى في سورة فاطر

المطلب الأول: التضمين

التضمين في اللغة: "هو جعل الشيء في شيء يحويه من ذلك قولهم: ضمنت الشيء: إذا جعلته في وعائه".[١] أما اصطلاحا فهو: "إشراب كلمة معنى أخرى بحيث تؤدي المعنيين".[٢] وقيل هو: " أن يؤدي فعل أو ما في معناه في التعبير مؤدى فعل آخر أو ما في معناه فيعطى حكمه في التعدية واللزوم".[٣]

فائدة التضمين:

يؤدي التضمين إلى التوسع في دلالة الألفاظ في اللغة، وقد أخذ به مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلا أنه أوصى بألا يلجأ إليه إلا لغرض بلاغي، وهذا يجعل التضمين مبدأ لغويًا سليمًا يمد العربية بطاقات تعبيرية وملامح فنية تفتح المجالات للغة مرنة مستعدة لكل متطلبات الحياة والحضارة.[٤] كما أن التضمين تظهر فيه قدرة الألفاظ على اختزان المعاني، فاللفظ قد يشمل على معانٍ كثيرة، والتضمين يومئ إلى واحد منها أو أكثر بلمحة تدل عليه وفي التلويح غنى عن التصريح. وقد يَنشد المتكلم معنى من

---

(١) المقاييس (ض م ن) .

(٢) حاشية الصبان ١/ ٢٠ .

(٣) التضمين وأثره في نمو اللغة – د/ عبد الغفار هلال ص ٩١، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد السابع.

(٤) السابق ص ٩٦.

المعاني فلا يأتي باللفظ الدال عليه، بل بلفظ هو تبيعه أو رديفه، فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع... فالمعنى لا يأتيك مُصرحا بذكره، مكشوفًا عن وجهه، بل مدلولا عليه بغيره، يشارفه من طريق يخفى ومسلك يدق، يتلوّح لك بعضه بالإيماء دون الإفصاح وذلك أحلى وأدمث من أن يكون مكاشفة ومُصارحة وجهَرا، عناية بما وراءه من معناه وتوصلًا إلى إدراك مطلبه الذي لا يفطن له إلا من أوتي النظر، ويستشف الغامض ويصل إلى الخفي، حتى كأنَّ الإفصاح به غير سائغ، والإعلان عنه مستوحش.(١)

وهذا التضمين يكون في الأفعال وفي الحروف، وفي الأسماء أيضًا عند بعض النحاة، وهو واقع في القرآن الكريم. فتضمين الفعل هو: إعطاء الفعل معنى فعل آخر لإفادة معنى الفعلين معًا. وذلك بأن يأتي الفعل متعديا بحرف ليس من عادته التعدي به فيضمن بفعل مناسب من عادته تعديته بذلك الحرف. وتضمين الحرف هو: إعطاء الحرف معنى حرف آخر، وذلك بأن يأتي الفعل متعديا بحرف ليس من عادته التعدي به فيضمن الحرف حرفًا مناسبًا يتعدى به الفعل عادة.(٢)

وقد اختلف العلماء في تضمين الفعل، وتضمين الحرف أيهما أولى فذهب أهل اللغة وبعض النحاة إلى تضمين الحرف، وذهب المحققون إلى تضمين الفعل معللين ذلك بأن الأفعال أكثر.(٣) يقول ابن تيمية:

---

(١) التضمين النحوي في القرآن الكريم ص ١٠٢: ١٠٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٣٣٨ وما بعدها.

(٣) ينظر: البرهان ٣/ ٣٣٨، والتضمين النحوي في القرآن الكريم ص ٢٠ وما بعدها.

"والعرب تضمن الفعل معنى الفعل، وتعديه تعديته، ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض كما يقولون في قوله: ﴿ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾[1] أي: مع نعاجه، وقوله تعالى: ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[2] أي مع الله، ونحو ذلك. والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين".[3] فكأن ابن تيمية أخذ برأي البصريين في القول بعدم إنابة الحروف بعضها عن بعض. والحق أن الكوفيين يجيزون تضمين الحرف معنى حرف آخر مما يجيز إنابة الحروف بعضها عن بعض؛ لأن الحرف إنما وضع لمعنى واحد، فإذا استعمل بمعنى حرف آخر كان متضمنًا معناه، وأيدهم من البصريين ابن جني – (رحمه الله) – إذ عقد لذلك بابًا في خصائصه هو (باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض) وفيه تحدث عن تضمين الفعل معنى فعل آخر، وتضمين الحرف معنى حرف آخر إذ يقول: "اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بأخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه ...".[4] وذكر لذلك نماذج عدة. وقد ربط ابن جني ذلك بالسياق فقال: "إنه يكون بمعناه في موضع

---

(١) سورة ص من الآية (٢٤) .

(٢) سورة الصف من الآية (١٤).

(٣) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٤٢.

(٤) الخصائص ٢/ ٣١٠.

دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه، والمسوغة له فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا ....".[١]

وعلى هذا فالتضمين يكون في الأفعال تارة، وفي الحروف تارة ثانية، ولا يعتد بقول من أنكره في الحرف؛ لما لها من دقائقَ وأسرار، إلا أن التضمين في الفعل أقيس وأوسع، وكذلك عادة العرب أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال؛ لما بينهما من الارتباط والاتصال، فإن هناك نوعا من الانتقال الدلالي يطرأ على الأفعال فيغير دلالتها الأصلية المركوزة فيها وينتقل بها إلى دلالة أخرى غير دلالتها الأصلية عن طريق تضمين الفعل معنى فعل آخر غيره وهو ما يعنينا هنا، أو استعماله في الدلالة على زمن غير الزمن الذي وضع له كما سيأتي توضيحه في حديثنا عن تباين الأسلوب فيعبر بالفعل الماضي عن المستقبل، وبالمضارع في موضع الماضي لأداء دلالة معينة يتطلبها المقام ويقتضيها السياق. والفعل في اللغة هو ما دل على إحداث شيء من عمل أو غيره.[٢] واصطلاحًا: هو ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة.[٣]

أما تضمين الفعل معنى فعل غيره فالمراد به إيجاب السياق أو استحسانه أن يجرى الفعل على معنى فعل قريب منه، ويكون أكثر ذلك لتعدي الفعل بحرف ليس هو الحرف الذي يتعدى به الفعل في أصل

---

(١) السابق نفسه.

(٢) المقاييس (ف ع ل) .

(٣) شرح شذور الذهب ص ١٨.

استعماله.[١]

وفي السورة الكريمة وجدنا بعض المفسرين يضمنون بعض الأفعال معاني أفعال أخرى غير ما تقتضيه دلالة الفعل الأصلية والمركوزة فيها وذلك على النحو التالي:

١. تضمين الفعل يمكرون معنى يكتسبون في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴾[٢] وأصل المكر هو الاحتيال والخداع[٣]، أما الكسب فأصله الدلالة على ابتغاء الشيء وطلبه وإصابته.[٤] أما استعمال المكر في معنى الكسب؛ فلأن السيئات من الأفعال السيئة التي لا تقصد ولا تبتغي وإنما تقع من فاعلها على سبيل المكر أو الخداع، لذا ناسبه يمكرون في معنى يكتسبون. يقول الألوسي: "السيئات صفة لموصوف محذوف وليس مفعولا به ليمكرون؛ لأن (مكر) لازم، وجوز أن يكون مفعولا على تضمين يقصدون أو يكسبون وعلى الأول فيه مبالغة للوعيد الشديد على قصد المكر أو هو إشارة إلى عدم تأثير مكرهم "[٥] وقد وافق في ذلك الغرناطي.[٦]

---

(١) أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير ص٢٦٣ .

(٢) فاطر من الآية (١٠) .

(٣) المقاييس (م ك ر) .

(٤) السابق (ك س ب) .

(٥) روح المعاني ٢٢/ ١٧٦ .

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل ٣/ ١٥٥ .

٢. تضمين الفعل (يمسك) معنى يحفظ في قوله – تعالى –: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا ﴾[١] يقول ابن عاشور: "عبر عن ذلك الحفظ بالإمساك على طريقة التمثيل وحقيقة الإمساك: القبض باليد على الشيء بحيث لا ينفلت ولا يتفرق، فمثل حال حفظ نظام السموات والأرض بحال استقرار الشيء الذي يمسكه الممسك بيده، ولما كان في الإمساك معنى المنع عدى إلى الزوال بـ (من) وحذفت كما هو شأن حروف الجر مع (إن) و(أن) في الغالب ...".[٢] فالفعل (يمسك) يتعدى إلى المفعول به بحرف هو الباء تقول: أمسكت بالشيء، أما في الآية التي معنى فقد تعدى إلى المفعول الثاني وهو الزوال بحرف جر هو من لتضمنه معنى يحفظ أو يمنع وكلاهما يتعدى بـ (من) لا بالباء.

٣. تضمين الفعل (تذهب) معنى الفعل تتلف في قوله – تعالى –: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ﴾[٣] أصل الذهاب: هو المضي[٤]. وأصل التلف: هو ذهاب الشيء وانعدامه.[٥] فتضمن الفعل (تذهب) معنى الفعل تتلف أو تعدم؛ لأن النفس لا تذهب أو الأعيان لا تذهب إلا على سبيل المجاز، وإنما الذي يذهب هو الذوات، والنفس ليس ذاتا

---

(١) سورة فاطر من الآية (٤١).

(٢) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣٢٧ .

(٣) سورة فاطر من الآية (٨) .

(٤) المقاييس (ذ هـ ب) .

(٥) السابق (ت ل ف) .

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية أن الفعل (تذهب) يتعدى إلى المفعول بحرف جر هو (إلى) تقول: ذهبت إلى زيد، أما الفعل (تتلف) فحين يقع فإنه يتعدى بـ "من" تارة و"على" تارة ثانية، ولما كان المعدي إليه ذواتا وهو الضمير (هم) في عليهم تعين حرف الجر على، فتضمن الفعل تذهب معنى تتلف أو تعدم، وكلاهما ثلاثي لازم.

٤. تضمين الفعل (ينظرون) معنى ينتظرون في قوله – تعالى –: ﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[١] يقول ابن عاشور: "وينظرون هنا من النظر بمعنى الانتظار ... ومعنى الانتظار هنا: أنهم يستقبلون ما حل بالمكذبين قبلهم. فشبه لزوم حلول العذاب بهم بالشيء المعلوم لهم المنتظر منهم على وجه الاستعارة ".[٢] فالنظر يكون متوجها إلى الشيء المحسوس أو المرئي في الحال، أما الانتظار فيكون في شيء معلوم يدرك بالعقل ويتوقع حصوله في المستقبل. ولما كان الحديث عن جزاء المكذبين لدعوته – ﷺ – وهو أمر مؤكد وقوعه لوقوعه من الأمم السابقة حين كذبوا رسلهم عبر بالفعل ينظرون استحضارا لحكاية الحال الماضية؛ ولأن المنظر إليه مما يدرك بالحس. وتضمن معنى ينتظرون؛ لأنه لم يقع بعد، بل ولأنه متوقع حدوثه عقلا. وقد كثر تضمين النظر معنى الانتظار في القرآن

---

(١) سورة فاطر من الآية (٤٣) .

(٢) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣٣٧ .

الكريم نحو قوله – تعالى –:قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا ﴾[1] وقوله: ﴿ وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا ﴾[2]،وقوله: ﴿ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾[3]، وقوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةَ وَٰحِدَةَ﴾[4]، وقوله: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾[5] ....."[6].

وهكذا فالتضمين سنة مطروقة من سنن العرب في كلامها سواء أكان في الأفعال أم في الحروف مما يدل على شجاعة العرب في كلامها ولغتها، وعدم وقوفها بالكلمات جامدة عند استعمالاتها الأولى، بل هي لغة متطورة إلا أنها في تطورها على صلة بالقديم تامة، وتستطيع مواكبة الحضارة في شتى عصورها من دون أن يبعدها ذلك عن أصلها القديم؛ لأن تطورها غير جوهري إذ هو في الفروع لا في الأصول وذلك بفضل القرآن الكريم وهو ما أكده المستشرق ستنكيفتش: "من المؤكد – بطريقة أو بأخرى – أن اللغة العربية لغة متميزة، لقد عاشت خمسة عشر قرنًا لم

(١) سورة البقرة من الآية (١٠٤) .

(٢) سورة النساء من الآية (٤٥) .

(٣) سورة النمل من الآية (٣٧) .

(٤) سورة يس من الآية (٤٩) .

(٥) سورة الحديد من الآية (١٣) .

(٦) الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها الثعالبي ص ٢٥٧.

تتغير في أثنائها تغيرًا جوهريًا، إنها غالبًا ما نكسب ولم تخسر البتة".[١]

(١) في علم اللغة – د/ محمد محي الدين أحمد محمود صـ ٦ نقلا عن كتاب (العربية الفصحى الحديثة ـ بحوث في تطور الألفاظ والأساليب) استنكيفتش.

المطلب الثاني: تعدد المعنى:

أ): المشترك الحرفي:

أولا: تعدد المعاني في حروف الجر:

الحرف في اصطلاح النحاة هو ما دل على معنى في غيره[١]، فهو لا يدل على معنى في نفسه وإنما يظهر معناه في غيره، فهو إذن هو مفتقر إلى غيره لينضم إليه. يقول المرادي: "دلالة الحرف على معناه الإفرادي متوقفة على ذكر متعلقه، بخلاف الاسم والفعل، فإن دلالة كل منهما على معناه الإفرادي غير متوقفة على ذكر متعلق، ألا ترى أنك إذا قلت الغلام، فهم منه التعريف، ولو قلت (ال) مفردة لم يفهم منه معنى، فإذا قرن بالاسم أفاد التعريف، وكذلك باء الجر فإنها لا تدل على الإلصاق حتى تضاف إلى الاسم الذي بعدها، لا أنه يتحصل منها مفردة، وكذلك القول في سائر الحروف".[٢]

وهذه الحروف – (حروف المعاني) – هي التي تربط بين أجزاء الجمل، وتدل على معان كثيرة، ولكن يتحدد كل معنى من معانيها من خلال السياق الواردة فيه، يقول د/ تمام حسان: "لا بيئة لحروف المعاني خارج السياق، فهي ذات افتقار متأصل إليه".[٣] وبإمعان النظر في السورة الكريمة وتأمل مواقع الكلام نجد أن حروف الجر فيها قد استعملت في

---

(١) شرح شذور الذهب ص ١٨

(٢) الجني الداني في حروف المعاني ص ١ .

(٣) اللغة معناها ومبناها ص ١٢٧ بتصرف .

دلالات غير ما وضعت له في أصل اللغة، إذ تضمن بعضها معنى بعض تارة، واكتسب من السياق دلالة أخرى فتغير معناها بتغيره، فالحرف أو الأداة تخرج عن معناها الذي وضع لها أو وضعت له، ولا يتضح ذلك إلا من خلال السياق اللغوي ووضعها في تركيب معين يتحدد على ضوئه المعنى المقصود لها، مع ملاحظة القرائن والضوابط والمقام. فيفهم مدلول الأداة من واقع الاستعمال، وإذا كان للسياق دوره الخطير في تحديد مدلول الأداة ومعناها الوظيفي فهو – أي السياق – ينهض بتفسير تعدد المعنى الوظيفي لكثير من الأدوات النحوية كالتالي:

(الباء)

الباء من الحروف التي اتسع فيها العرب اتساعًا جعل بعض النحاة يصلون بمعانيها إلى أربعة عشر معنى، مما هو دليل على كثرة تصرفها وقدرتها على الوفاء بأغراض المتكلم وأحوال المخاطبين، سواء أكانت هذه المعاني تؤدى بها على سبيل الحقيقة أم التجوز، أو النيابة عن أخواتها من حروف الجر على اختلاف مذاهب العلماء.[1] وقد ورد هذا الحرف في السورة الكريمة ست عشرة مرة وجاء فيها بمعان عدة كالتالي:

١. الإلصاق وهو المعنى الأصلي للباء، يقول ابن هشام: "الباء المفردة حرف لأربعة عشر معنى أولها الإلصاق، قيل وهو معنى لا يفارقها، فلهذا اقتصر عليه سيبويه، ثم الإلصاق حقيقي كـ: أمسكت بزيد، إذا قبضت

(١) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ص ١٦٥.

على شيء من جسمه أو على ما يحبسه من يد أو ثوب ... ومجازي نحو: سررت بزيد أي ألصقت سروري بمكان يقرب من زيد".[1] ومنه في السورة الكريمة قوله – تعالى–: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ ﴾[2]وكذا قوله: ﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾[3] فالباء فيهما للإلصاق وكذا الباء: في قوله تعالى:﴿ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴾[4]

٢. الملابسة أو التعدية: ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ فالباء في قوله (بالله) للملابسة وهي داخلة على مضاف مقدر أي بشأن الله، أي يتطرق إلى نقض هدى الله فإن الفعل (غر) يتعدى إلى مفعول واحد، فإذا أريد تعديته إلى بعض متعلقاته عدي إليه بواسطة حرف الجر، فقد يعدى بالباء وهي باء الملابسة كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾[5] وقوله: ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ وذلك إذا أريد بيان من الغرور ملابس له على تقدير مضاف، أي بحال من أحواله، وتلك ملابسة الفعل للمفعول في الكلام على الإيجاز. وليست هذه الباء

---

(١) مغني اللبيب ص ١٣٧.

(٢) سورة فاطر من الآية (١٨).

(٣) سورة فاطر الآية (١٦).

(٤) سورة فاطر من الآية (٢٥).

(٥) سورة الانفطار [٦]

باء السببية.[١] وكذا الباء في (بالحق) في قوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ أي إرسالا ملابسا بالحق لا يشوبه شيء من الباطل.[٢] وكذا الباء في بإذن الله في قوله:﴿ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ أي متلبسا بإذن الله.[٣]وقوله: ﴿ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾ أي متلبسا بعلمه.[٤]

٣. السببية: ومنه قوله – تعالى –:﴿فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ أي بسببه.[٥] وقوله ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ﴾.

٤. الظرفية أي: متضمنة معنى (في) ونائبة عنها. ومنه قوله – تعالى –: :﴿ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ فالباء هنا للظرفية أي في الخيرات.

(اللام)

وقد ذكر لها ابن هشام اثنين وعشرين معنى[٦]. وقد ورد هذا الحرف في السورة الكريمة عشرين مرة دالًا على المعاني الآتية.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ١٥٩ .

(٢) السابق ٢٢/ ٢٩٦ .

(٣) السابق ٢٢/ ٣١٣.

(٤)السابق ٢٢/ ٢٧٧ .

(٥) السابق ٢٢/ ٣١٣ .

(٦) مغني اللبيب ص ٢٧٥ .

١. الاختصاص وهو المعنى الأصلي للام الجارة. نحو قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ كذا قوله:﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ﴾ وقوله: ﴿فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾.

٢. الاستحقاق وهي الواقعة بين معنى وذات نحو قوله تعالى:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

٣. التعليل كما في قوله: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[١] فالألوسي جعل اللام في ليوفيهم لام العلة كما هو الشائع الكثير خلافا لمن ذكر أنها لام الصيرورة.[٢]

٤. القسم كما في قوله – تعالى –: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[٣] قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾[٤] فاللام في الموضعين موطئة للقسم والشرط وجوابه مقسم عليه، أي محقق تعليق الجواب بالشرط ووقوعه عنده.[٥]

١. بمعنى (إلى) أي: الدلالة على الانتهاء ومنه قوله تعالى: ﴿يُولِجُ

---

(١) سورة فاطر آية (٣٠)

(٢) روح المعاني ٢٢/ ١٩٣ .

(٣) سورة فاطر آية (٤١) .

(٤) سورة فاطر آية (٤٢) .

(٥) التحرير والتنوير ٢/ ٣٢٨ .

ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ﴾[1] يقول ابن عاشور: "عدى فعل (يجري) باللام، وجيء في آية سورة لقمان تعدية فعل (يجري) بحرف (إلى) فقيل اللام تكون بمعنى إلى في الدلالة على الانتهاء، فالمخالفة بين الآيتين تفنن في النظم.[2]

٢. التقوية: نحو قوله – تعالى –:﴿ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾[3] فاللام في قوله (لنفسه) لام التقوية؛ لأن العامل فرع في العمل إذ هو اسم فاعل.[4]

٣. العاقبة: نحو قوله: ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [5] كذا قال ابن عطية[6]، وإن أنكرها الألوسي.[7] والظاهر في تسمية هذه اللام بلام العاقبة أو الصيرورة أن القائلين بها يخرجونها عن معنى الاختصاص الذي هو أصل معناها، ويرونها غير لام التعليل؛ لأن لام التعليل تدخل على ما هو غرض لفاعل الفعل، ويكون مترتبا على الفعل، وليس في لام الصيرورة إلا الترتيب فقط.[8]

---

(١) سورة فاطر من الآية (١٣) .

(٢) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٨١ .

(٣) سورة فاطر من الآية (٣٢) .

(٤) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣١٢ .

(٥) سورة فاطر من الآية (٦) .

(٦) المجرد الوجيز ٤/ ٤٣٠ .

(٧) روح المعاني ٢٢/ ١٦٨ .

(٨) الفوائد في مشكل القرآن ص ١٣٨ .

٤. الجحود: نحو قوله:﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[١] ولام الجحود تأتي مع كان المنفية لإفادة تأكيد نفي كل شيء يحول دون قدرة الله وإرادته.[٢] يقول ابن هشام: "توكيد النفي هي الداخلة في اللفظ على الفعل مسبوقة بما كان أو لم يكن ناقصتين مسندتين لما أسند إليه الفعل المقرون باللام ... ويسميها أكثرهم لام الجحود لملازمتها للجحد أي النفي، قال النحاس: والصواب تسميتها لام النفي؛ لأن الجحد في اللغة إنكار ما تعرفه لا مطلق الإنكار، ووجه التوكيد فيها عند الكوفيين أن أصل ما كان ليفعل، ما كان يفعل، ثم أدخلت اللام زيادة لتقوية النفي".[٣]

(من)

ورد هذا الحرف في السورة ستا وعشرين مرة دالا على المعاني الآتية:

١. الابتداء: وهو المعنى الأصلي للحرف. يقول سيبويه: "من تكون لابتداء الغاية في الأماكن وما يقوم مقامها "[٤] ومنه في السورة: ﴿۞ إِنَّ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ فمن الثانية أي في قوله: (من بعده) للابتداء كذا قال كثير من العلماء.[٥] كذا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن

(١) سورة فاطر من الآية (٤٤) .

(٢) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣٣٩ .

(٣) مغنى اللبيب ص ٢٧٩ .

(٤) الكتاب ٤/ ٢٢٤ .

(٥) الكشاف ٣/ ٦٢٧، وإرشاد العقل السليم ٧/ ١٥٤، وروح المعاني ٢٢/ ٢٠٤ .

فَضْلِهِۦ﴾ يقول ابن عاشور: "و(من) في قوله (من فضله) ابتدائية في موضع الحال من دار المقالة.(١)

٢. التبعيض: نحو قوله – تعالى –: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾(٢) وكذا قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾(٣) وكذا قوله: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾(٤) ف (من) في الآيات الثلاث السابقة للتبعيض كما قال العلماء.(٥)

٣. البيان: نحو قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾(٦) فمن هنا بيانية.(٧) كذا قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾(٨) ف (من) هنا بيانيه لما في الموصول من الإبهام.(٩)

٤. زائدة لتأكيد النفي: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾(١٠) كذا

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣١٦ .

(٢) سورة فاطر من الآية (٢٧) .

(٣) سورة فاطر من الآية (٢٨) .

(٤) سورة فاطر من الآية (٣٣) .

(٥) الكشاف ٣/ ٦١٩ ، ٦٢٣ ، إرشاد العقل السليم ٧/ ١٥١ ، ١٥٣ .

(٦) سورة فاطر من الآية (٢) .

(٧) البحر المحيط ٧/ ٢٨٦ .

(٨) سورة فاطر من الآية (٣١) .

(٩) التحرير والتنوير ٢٢ / ٣٠٩ .

(١٠) سورة فاطر من الآية (١١).

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[1] أو زائدة لتأكيد العموم كما في قوله: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ ﴾ فمن الأولى زائدة لتأكيد العموم.[2]

٥. الظرفية: كما في قوله – تعالى -:﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: في الأرض.[3]

(في)

ورد هذا الحرف في السورة التي بين أيدينا إحدى عشرة مرة وجاء فيها دالا على معنيين الأول: الظرفية وهو المعنى الأصلي للحرف وهو أكثر ما ورد كما في قوله:﴿وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ ﴾[4] وقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾[5] وقوله: ﴿ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ ﴾ وقوله:﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾[6] الثاني: تضمنها معنى (من) أي الابتداء كما في قوله: ﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾[7] أي: إلا خلا منها.

(على)

ورد هذا الحرف في السورة الكريمة أربع مرات دالا على المعاني

---

(١) سورة فاطر من الآية (٤٤).

(٢) روح المعاني ٢/ ٢٠٤ .

(٣) حروف المعاني ص ٧٦ .

(٤) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم – مقاتل بن سليمان ص١٩٢، وحروف المعاني ص ٧٦.

(٥) سورة فاطر من الآية (١٣) .

(٦) سورة فاطر من الآية (٢٢) .

(٧) سورة فاطر من الآية (٢٤).

الآتية:

١. الاستعلاء وهو المعنى الأصلي للحرف، إذ وضع في أصل وضعه للدلالة على استعلاء الشيء كقولك: أمررت يدي عليه.(١) ومنه في قوله تعالى:﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾(٢)

٢. الاختصاص فتنوب حينئذ عن اللام كما في قوله – تعالى –: ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ﴾(٣)

٣. بمعنى (عند) أي الدلالة على المكان أي: أنها تستعمل ظرفا فتنوب حينئذ عن عند كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾.(٤) وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزِۭ﴾(٥)

ثانيا: في حروف العطف:

(الواو)

الواو حرف يكون عاملا، وغير عامل، فأما العاملة فليست من باب العطف كواو القسم وواو رب، وواو مع، والواو الناصبة للمضارع بعدها. أما الواو غير العاملة أو واو العطف خاصة فلها في العربية أقسام أو معان

---

(١) حروف المعاني ص ٦٥ .

(٢) سورة فاطر (٤٥) .

(٣) سورة فاطر (٣٩) .

(٤) سورة فاطر (١١) .

(٥) سورة فاطر (١٧) .

كثيرة وهي راجعة إلى ثمانية أقسام.[1] وبتأمل مواقع واو العطف في السورة الكريمة نجد أنها قد جاءت دالة على المعاني الآتية:

١. الجمع المطلق في العطف يقول المرادي: وهذا أصل أقسامها وأكثرها لكثرة مجالها فيه وهي مشركة في الإعراب والحكم، ومذهب جمهور النحويين أنها للجمع المطلق. فإذا قلت: قام زيد وعمرو، احتمل ثلاثة أوجه: الأول أن يكونا قاما معا في وقت واحد. والثاني أن يكون المتقدم قام أولا. والثالث أن يكون المتأخر قام أولا، قال سيبويه: وليس في هذا دليل على أنه بدأ بشيء قبل شيء، ولا بشيء بعد شيء.[2] ومنه في السورة الكريمة قوله – تعالى –: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾ يقول ابن عاشور: " اعلم أن تركيب الآية عجيب فقد احتوت واوات عطف وأدوات نفي، فكل من الواوين اللذين في قوله (ولا الظلمات) إلخ إلى قوله (ولا الظل) إلخ عاطف جملة على جملة وعاطف تشبيهات ثلاثة بل تشبيه منها يجمع الفريقين والتقدير: ولا تستوي الظلمات والنور ولا يستوي الظل والحرور، وقد صرح بالمقدر أخيرا في قوله (وما يستوي الأحياء ولا الأموات). وأما الواوات الثلاثة في قوله (والبصير) (ولا النور) (ولا الحرور) فكل واو عاطف مفرد على مفرد، فهي ستة تشبيهات موزعة على كل فريق فـ (البصير) عطف على (الأعمى)، و(النور) عطف على (الظلمات)، و(الحرور) عطف على

(١) الجني الداني في حروف المعاني ص ٢٥ .

(٢) السابق نفسه .

(الظل) ولذلك أعيد حرف النفي ... وهو استعمال قرآني بديع في عطف المنفيات من المفردات والجمل.[١] ومن العطف لمطلق الجمع أيضا قوله – تعالى -: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ﴾ وأكثر واوات العطف في السورة على هذا المعنى.

١. الترتيب : وهو ما ذهب إليه قطرب، وثعلب، وأبى عمر الزاهد غلام ثعلب، والربعي وهشام، وأبى جعفر الدينوري. وآخرون منهم الشافعي.[٢] وبهذا المعنى فسر الإمام الرازي الواو في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يقول: "اعلم أن قوله (فاطر السموات والأرض) يوهم أن تخليق السموات مقدم على تخليق الأرض عند من يقول: الواو تفيد الترتيب، ثم العقل يؤكده أيضًا؛ وذلك لأن تعين المحيط يوجب تعين المركز، أما تعينه فإنه لا يوجب تعين المحيط؛ لأنه يمكن أن يحيط بالمركز الواحد محيطات لا نهاية لها، كما لا يمكن أن يحصل للمحيط الواحد إلا مركز واحد بعينه. وأيضا اللفظ يفيد أن السماء كثيرة والأرض واحدة".[٣]

٢. الاستئناف أو الابتداء: وهو قسم من أقسام الواو فهل هي نفسها واو العطف وأفادت هذا المعنى أم أنه قسم مستقل بذاته يخرج الواو من باب العطف. يقول المرادي: "من أقسام الواو: واو الاستئناف، ويقال: واو الابتداء وهي الواو التي يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٩٣ ، ٢٩٤ بتصرف .

(٢) الجني الداني ص ٢٦ .

(٣) التفسير الكبير ١٨/ ١٧٤ .

في المعنى، ولا مشاركة له في الإعراب. ويكون بعدها الجملتان: الاسمية والفعلية فمن أمثلة الاسمية قوله – تعالى –: ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ ومن أمثلة الفعلية: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ ... وهو كثير. وذكر بعضهم أن هذه الواو قسم آخر غير الواو العاطفة، والظاهر أنها الواو التي تعطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب لمجرد الربط، وإنما سميت واو الاستئناف لئلا يتوهم أن ما بعدها من المفردات معطوف على ما قبلها.(١) وعلى هذا فواو العطف تفيد معنى الاستئناف إذا كان ما بعدها غير متعلق بما قبلها في المعنى ولا مشارك له في الإعراب مما يخرجها عن إفادة أصل معناها وهو مطلق الجمع، وبهذا الرأي أخذ بعض المفسرين كما في قوله – تعالى – في السورة الكريمة: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ﴾ يقول الإمام الرازي: "فإن قيل الواو في (ومن الجبال) ما تقديرها ؟ تقول هي تحتمل وجهين: أحدهما: أن تكون للاستئناف كأنه قال: "وأخرجنا بالماء ثمرات مختلفة الألوان، وفي الأشياء الكائنات من الجبال جدد بيض دالة على القدرة، رادة على من ينكر الإرادة في اختلاف ألوان الثمار. ثانيهما: أن تكون للعطف تقديرها وخلق من الجبال".(٢) والصحيح أنه لا تعارض في الدلالة أو في المعنى بين الوجهين.

٣. الاعتراض ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يقول الألوسي: "الواو حاليه أو عاطفة. وفي

---

(١) الجني الداني ص ٢٦ .

(٢) التفسير الكبير ٢٦/ ١٩ .

الإرشاد الجملة اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استئصال الأمم السالفة. وظاهرة أن الواو اعتراضية.(١)

(الفاء)

الفاء تكون حرف عطف إلا أن لها معاني عدة ومتنوعة بتنوع السياق كالتالي:

١. الترتيب بلا مهلة. وهو أصل معناها يقول سيبويه: " والفاء وهي تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو، غير أنها تجعل ذلك متسقا بعضه في إثر بعض وذلك قولك: مررت بعمرو فزيد فخالد، وسقط المطر بمكان كذا وكذا، فمكان كذا وكذا، وإنما يقرو أحدهما بعد الآخر".(٢) وعلى هذا فالفاء التي للعطف من شأنها أن يكون المعنى الذي اشترك فيه المعطوف والمعطوف عليه حاصلا للمعطوف بعد حصوله للمعطوف عليه بلا مهلة فصل، ويكون حصوله للثاني عقب الأول مباشرة لذلك يقولون: إنها للترتيب والتعقيب. وعلى هذا المعنى أكثر ما ورد من فاءات العطف في السورة الكريمة ومنه قوله – تعالى –:﴿ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ يقول أبو السعود العمادي: "الفاء في قوله (فذوقوا) لترتيب الأمر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير"(٣). وكذا قوله – تعالى –: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ

(١) روح المعاني ٢٢/ ٢٠٧ .

(٢) الكتاب ٤/ ٢١٧ .

(٣) إرشاد العقل السليم ٧/ ١٥٥ .

مَوۡتِهَاۚ﴾ يقول الألوسي: "الفاء دالة على عدم ترخي ذلك".[١] أي: أن الفاءات الثلاثة في الآية دلت على الترتيب والتعقيب أو الترتيب وعدم التراخي كأن إرسال الرياح يعقبه مباشرة إثارة السحاب، ويعقب إثارة السحاب مباشرة نزول الأمطار على الأرض الجدباء، ويعقب نزول الأمطار إحياء الأرض بعد يبسها. وكذا قوله ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾[٢] وقوله ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾[٣] الفاء فيهما للترتيب.[٤]

٢. التعليل: وهو أحد المعاني التي يكثر مجيئها في الفاء العاطفة وقد دلت الفاء على هذا المعنى في أكثر من موضع في السورة منها قوله – تعالى –: **قَالَ تَعَالَى**: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾[٥] فالفاء في (فإن) وفي (فلا) للتعليل.[٦] كذا قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ﴾[٧] وقوله: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ﴾ فالفاء في (فلن) وفي (فما) للتعليل.[٨]

---

(١) روح المعاني ٢٢/ ١٧١ .

(٢) سورة فاطر من الآية (٦) .

(٣) سورة فاطر من الآية (٣) .

(٤) روح المعاني ٢٢/ ١٦٧، وتفسير سورة فاطر ص ٣٢ .

(٥) سورة فاطر من الآية (٨).

(٦) روح المعاني ٢٢/ ١٧٠، وتفسير سورة فاطر ص ٤٢ .

(٧) سورة فاطر من الآية (٤٣) .

(٨) إرشاد العقل السليم ٧ / ١٥٦، وروح المعاني ٢٢/ ٢٠١ ، ٢٠٦ .

٣. التفصيل: كما في قوله – تعالى –: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ يقول الألوسي والفاء في فمنهم للتفصيل لا للتعليل كما قيل.(١)

٤. التفريع: كما في قوله – تعالى –: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ يقول ابن عاشور:" الفاء في قوله (فقد كذب الذين من قبلهم) فاء فصيحة أو تفريع على المحذوف".(٢) كذا جعلها بعض العلماء للتفريع في قوله ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ لا للتعليل.(٣) والتفريع عبارة عن علاقة تنشأ بين جمل بعضها يعد أصولا في المعاني وبعضها يعد فروعا معنوية لهذه الأصول، وهذه الفروع المعنوية يمكن أن تكون باعتبار العلة والمعلول أو باعتبار القصد العام والمقاصد الخاصة، أو باعتبار الإجمال والتفصيل أو غيرها من الاعتبارات التي تجمعها العلاقة بين أصول المعاني وفروعها. فتفريع قوله: ﴿فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ على المحذوف وهو (فلا تيأس) لأن ما بعد الفاء يعد تعليلا للمحذوف، والتقليل فرع من الفروع التي احتوتها دلالة التفريع في الفاء. وكذا الفاء في قوله – تعالى –: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ﴾ يقول ابن عاشور عن الفاء في الآية: " تفريع على جملة (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُورًا) ويجوز أن يكون تفريعا على جملة ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ على الوجه الثاني في تعريف المكر وفي الراد بأهله، أي كما مكر الذين من قبلهم فحاق بهم مكرهم

(١) روح المعاني ٢٢/ ١٩٥ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٩٩ .

(٣) السابق ٢٢/ ٢٦٥، وتفسير سورة فاطر ص ٤٢ .

كذلك هؤلاء.[1]

ومن هنا ندرك أن حروف المعاني تتضمن معاني أخر غير ما وضعت له في أصل اللغة ولا تتحدد هذه المعاني إلا من خلال السياق، فمعاني الحروف مرتبطة بالسياق ارتباطًا وثيقًا يقول السيوطي – (رحمه الله) –: "اعلم أن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها".[2]

فالأداة ـ إذن ـ لها أثرها الدلالي الواضح في المعنى، فهي ليست مجرد روابط بين مفردات الجملة أو بين الجمل، وإنما تحمل ـ مع كونها رابطة ـ معاني ودلالات تصبغ بها الكلام، ومن ثم اهتم بها النحاة من ناحية المعنى كما اهتموا بها من ناحية الشكل فأفردوا لها كتبا خاصة. وباعتبار القرآن الكريم هو المادة التطبيقية الأرفع للأسلوب العربي البليغ فقد وجد المفسرون في دلالة الأدلة ميدانا لشرحها وبيان أثرها في المعنى القرآني ومدى تعانقها مع دلالاتها العامة مما جعل أحد الباحثين يقول: "فقد نما علم الأدوات في أحضان التفسير وبرزت أهميته فتلقفه النحاة وطوروه بما لديهم من معارف لغوية، ثم عاد إلى التفسير قويا لتلتقطه الكتب الخاصة وتسهم في تطويره وعقد لوائه، ويعود مرة أخرى من حيث أتى ويصب في التفسير ... وكان للتفسير في كل ذلك فضل نموه وترعرعه والاستمرار في

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣٣٧ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٤٢٥ .

أفيائه".[١] وتكمن أهمية الأداة عموما في تغير دورها الدلالي بتغير السياق، فقد خصت الأداة أو حروف المعاني بمرونة دلالية لا يشركها فيها الاسم أو الفعل، ومن ثم اهتمت الكتب المتخصصة في معاني الأدوات كحروف المعاني للزجاجي، والجني الداني للمرادي، ومغنى اللبيب لابن هشام وغيرها . بتنوع دلالة الأداة الواحدة حسب السياق كما سبق توضيحه.

ب): تعدد المعاني في الأسماء (المشترك الاسمي):

بتأمل السورة الكريمة نجد فيها أسماء تكرر ورودها فيها أكثر من مرة ودالة على معان عدة مستوحاة من سياق الآية وتوضيحها كالتالي:

١. لفظ (السماء): وقد وضع هذا اللفظ في أصل اللغة للدلالة على كل ما علاك فأظلك.[٢] إلا أنه ورد في القرآن الكريم وفي غيره دالا على معان أخر غير ذلك الأصل جعلها الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) في خمسة معان[٣]، وكذا الدامغاني.[٤] وبتأمل وروده في السورة الكريمة نجد أنه قد ورد خمس مرات دالا على معنيين اثنين هما: السماء المعروفة كما في قوله – تعالى –:﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾كذا قوله: ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[٥] وهو أكثر معانيها ورودا في القرآن الكريم

(١) الأدوات النحوية في كتب التفسير ص ٣٦ .

(٢) أدب الكاتب صـ ٦٧ ، والمزهر١/ ٤٢٦، وتاج العروس (س م و) .

(٣) الأشباه والنظائر ص ١٧٣ .

(٤) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ص ٤٣٥ .

(٥) سورة فاطر من الآية (٣).

وفي غيره. أما الثاني فهو الدلالة على السحاب كما في قوله – تعالى ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾.

٢. لفظ (الكتاب): وهذا اللفظ في أصل اللغة قد وضع للدلالة على جمع شيء إلى شيء[١]. إلا أنه في السورة الكريمة وقد استعمل فيها ست مرات قد استعمل دالًا على المعاني الآتية: الكتاب بمعنى اللوح المحفوظ كما في قوله – تعالى –: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ فالكتاب هنا هو اللوح المحفوظ أو ما يكتبه الملك لكل إنسان من عمله ورزقه وأجله وأثره.[٢] والكتاب: القرآن الكريم خاصة كما في قوله – تعالى –: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾[٣] يقول ابن عاشور: " وكتاب الله القرآن، وعدل عن اسمه العلم إلى اسم الجنس المضاف لاسم الجلالة لما في إضافته إليه من تعظيم شأنه "[٤] ومنه قوله – تعالى –: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ

(١) المقاييس (ك ت ب) .

(٢) تفسير سورة فاطر – د/ عبد الحسيب طه ص ٦٥ .

(٣) سورة فاطر آية (٢٩) .

(٤) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣٠٦ .

ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾[1] والكتاب بمعنى الحجة والبرهان ومنه قوله – تعالى –: ﴿أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ﴾[2]

٣. لفظ (النذير): وضع هذا اللفظ في أصل اللغة للدلالة على التخويف أو التخوف ومنه الإنذار أي الإبلاغ[3]. وفي السورة الكريمة ورد هذا اللفظ في السورة ست مرات دالا على هذا المعنى كما في قوله – تعالى –:﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾. والنذير: الرسول أي رسول كان[4] كما في قوله – تعالى – في سياق الحديث عن الكافرين في نار جهنم: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُمۡ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[5] كذا قوله – تعالى –: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ﴾. والنذير: سيدنا محمد – ﷺ – خاصة كما في قوله – تعالى –:﴿فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا﴾[6] وهذا المعاني جميعها راجعة إلى المعنى

---

(١) سورة فاطر من الآية (٣٢) .

(٢) سورة فاطر من الآية (٤٠) .

(٣) المقاييس (ن ذ ر) .

(٤) تفسير سورة فاطر– د/ عبدالحسيب طه ص ١٢٥ .

(٥) سورة فاطر آية (٣٧) .

(٦) سورة فاطر من الآية (٤٢) .

الأصلي للفظ. فالرسول منذر لقومه يخوفهم من مصيرهم إذ خالفوا أوامر الله تعالى ولم يجتنبوا نواهيه ويبشرهم بالخير العميم إذا فعلوا خلاف ذلك فاتبعوا أوامره واجتنبوا نواهيه.

المبحث الثالث: التطور الدلالي في ألفاظ السورة

اللغة مادة حية، وظاهرة اجتماعية، تخضع كما يخضع غيرها من ألوان النشاط الإنساني إلى عوامل الزمان فتتأثر سلبًا وإيجابًا ... ويعرض هذا التطور للغات جميعًا أيًّا كان مستواها اللغوي، وأيًّا كان المستوى الحضاري الذي يسود مجموعة بشرية بعينها. والعربية واحدة من هذه اللغات التي تطورت في ألفاظها ودلالاتها بعد مجيء الإسلام، وقد تأثرت في ذلك بعوامل عدة أهمها: التأثر بحضارة الأمم المجاورة نتيجة انتشار الإسلام ودخول غير العرب فيه من ناحية، واختلاف النظم والعقائد عما كانت عليه قبل الإسلام من ناحية ثانية. وفي كل ذلك نجد القرآن الكريم ممثلا للغة العرب إبان الجاهلية وصدر الإسلام خير تمثيل مما جعل اللغويين العرب القدامى يبحثون في هذه اللغة الشريفة – (لغة القرآن الكريم) – من جميع جوانبها. ففطنوا إلى تغير الدلالة بمجيء الإسلام وتطور العلوم، وعرفوا سنن ذلك التطور من تعميم وتخصيص ونقل أو مجاز. وأشاروا إلى التطور الدلالي الذي لحق طائفة من الألفاظ ونصوا عليه صراحة بيد أنهم عدوا ما حدث بعد عصور الاحتجاج مولدا أو لحنا، إذ رفضوا كل تغير

في المعنى بعد ذلك بدافع الحرص على سلامة اللغة العربية بالحفاظ عليها، خلافًا للمحدثين الذين يرون أن الجانب الدلالي يمتاز عن غيره من جوانب اللغة الأخرى، فالمفردات أكثر العناصر اللغوية استجابة لدواعي التغير؛ لأن دلالة المفردات لا يمكن أن تبقى محصورة بحال من الأحوال في أي أنماط ثابتة من العيش والفكر والثقافة وغير ذلك، فالحياة تشجع على تغير المفردات؛ لأنها تحدد الأسباب التي تؤثر في المفردات لارتباط الحياة بالزمان والمكان وما فيهما من التعدد والتنوع والتغير. وهكذا تعمل العلاقات الاجتماعية والمعطيات الحضارية والبيئات المكانية المرتبطة جميعًا بالزمان على تغير المفردات، فتقضي على المفردات القديمة أو تحور معناها، أو تهيء لخلق مفردات جديدة، فالأساليب التي تؤدي إلى تغير الظواهر ليست في أي مادة أكثر تعقيدًا ولا عددًا ولا تنوعًا منها في هذا المجال.(١) لكن يشترط في قبول هذا التغير الدلالي عبر العصور أن يكون محروسًا بالقواعد المعيارية في الأصوات والصرف والنحو والمعجم مما يبقي على اتصال لابد منه بين القديم والحديث.

مظاهر التطور الدلالي في ألفاظ السورة:

ترجع أحيانًا التغيرات المختلفة التي تصيب الكلمات من حيث المعنى إلى ثلاثة أنواع: الضيق، والاتساع، والانتقال. فهناك تضييق عند الخروج من معنى عام إلى معنى خاص. وهناك اتساع في الحالة العكسية

(١) مدخل إلى فقه اللغة العربية ص ٢٢٣.

أي عند الخروج من معنى خاص إلى معنى عام. وهناك انتقال عندما يتعادل المعنيان، أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص كما في حالة انتقال الكلمة من المحل إلى الحال. أو من السبب إلى المسبب، أو من العلامة الدالة إلى الشيء المدلول عليه.(١)

وبالنظر في السورة الكريمة نجد أنها قد اشتملت على ألفاظ تطورت دلالتها إذ استعملت في معان غير تلك التي وضعت لها في أصل اللغة تخصيصا، أو تعميما، أو نقلا مجازيا. وهاك التوضيح:

أولًا: تخصيص الدلالة:

وهو: ما وضع في الأصل عامًا ثم خص في الاستعمال ببعض أفراده(٢). أو هو: تحويل الدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي أو تضييق مجالها.(٣) ومنه في السورة الكريمة:

١. لفظ (الزوج) في قوله تعالى :﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ﴾(٤) فالأزواج جمع زوج وهو في الأصل لمقارنة شيء لشيء وهو الذي يصير بانضمام الفرد إليه زوجا أي شفعا. يقول ابن منظور: " الزوج خلاف الفرد. يقال: زوج أو فرد، كما يقال: خسا أو

(١) اللغة – فندريس ص ٢٥٦.

(٢) المزهر ١/ ٤٢٧.

(٣) علم الدلالة . د/ أحمد مختار عمر ص٢٤٥.

(٤) سورة فاطر من الآية (١١) .

زكا، وشفع، أو وتر ... قال تعالى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾[1] وكان الحسن يقول في قوله ﷻ ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾[2] قال: السماء زوج والأرض زوج، والشتاء زوج والصيف زوج، والليل زوج والنهار زوج، ويجمع الزوج أزواجًا ...".[3] وعلى هذا فاللفظ في أصل وضعه كان عاما، لكنه خصص في الاستعمال إذ شاع إطلاقه على صنف الذكور مع صنف الإناث؛ لاحتياج الفرد الذكر من كل صنف إلى أنثاه من صنفه والعكس.[4] كما في الآية الواردة في سورة فاطر.

٢. لفظ (الدابة) في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ﴾[5] وقد وضع في الأصل للدلالة على كل ما مشى على الأرض. يقول ابن فارس: "الدال والباء أصل واحد صحيح منقاس وهو حركة على الأرض أخف من المشي تقول: دب دبيبا، وكل ما مشى على الأرض فهو دابة ...".[6] وقال ابن سيدة: "الدابة اسم لما دب من الحيوان، مميزه وغير مميزه، وفي التنزيل العزيز ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾[7] ولما كان لما يعقل ولما لا يعقل قيل (فمنهم)، ولو كان

---

(١) سورة ق من الآية (٧).

(٢) سورة الذاريات من الآية (٤٩).

(٣) اللسان (ز و ج) .

(٤) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٧٦ .

(٥) سورة فاطر آية (٢٨) .

(٦) مقاييس اللغة (د ب) .

(٧) سورة النور آية (٤٥) .

لما لا يعقل لقيل: فمنها، أو فمنهن ...".[١] وقد جاء في السورة الكريمة بهذا المعنى العام أيضا وذلك في قوله: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [٢] أي: كل نفس دابة فأراد العموم، لكن هذا اللفظ على الرغم من احتفاظه بأصله المعنوي في بعض السياقات إلا أنه كثر استعماله في الدلالة على ما يركب وهو المعنى المقصود من قوله: "ومن الناس والدواب والأنعام" فليس المقصود عموم الدابة في كل ما يدب على الأرض بدليل ذكر الناس والأنعام معه في السياق.

٣. لفظ (الحرور) في قوله – تعالى –: ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ﴾[٣]. الحرور هو شدة حر الشمس كما قال الخليل.[٤] وقال أبو عبيدة: "السموم: الريح الحارة بالنهار وقد تكون بالليل، والحرور: الريح الحارة بالليل وقد تكون بالنهار"[٥]، وعلى هذا فاللفظ في أصله يدل على العموم وهو شدة الحر بالليل والنهار كما قال الزبيدي.[٦] إلا أنه في الآية الكريمة يقصد به الريح الحارة بالليل خاصة دون النهار، والذي خصص معناه في هذا السياق أن معنى قوله (ولا الظل ولا الحرور) هو: ولا المكان الذي حجبت عنه الشمس وكان هادئا لا ريح فيه ... ولا المكان الذي

---

(١) المحكم (د ب ٩/ ٢٧٩) باب الثنائي المضاعف الدال والباء .

(٢) سورة فاطر آية (٤٥) .

(٣) سورة فاطر آية (٢١) .

(٤) العين باب الحاء والراء ٣/ ٢٣ .

(٥) اللسان (ح ر ر) .

(٦) تاج العروس (ح ر ر) .

حجبت عنه الشمس ـ لغيابها بالليل ـ وكانت تهب عليه ريح حارة ـ هناك ظل محدود تحيط بمكانه الشمس، وهناك ظل ممدود قد غابت عنه الشمس، الفرق أن الظل الأول هادئ ... والظل الثاني مزعزع حار، الظل الأول ظل حقيقي، أما الظل الثاني فظل مجازي؛ لأنه ليل، ولأنه ليس له من الظل إلا الصورة وهي غياب الشمس عنه، أما حقيقته فحرارة لافحة، وعلى هذا فالسموم ريح حارة في النهار، والحرور: ريح حارة في الليل ليس غير. هكذا خصصت في القرآن.(١)

٤. لفظ (الكفر) وقد ورد في السورة أكثر من مرة. وأصل معناه في اللغة هو الستر والتغطية. يقول ابن فارس: "الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الستر والتغطية يقال: لمن غطى درعه بثوب: قد كفر درعه. ... ويقال للزارع: كافر؛ لأنه يغطي الحب بتراب الأرض قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾(٢) ...(٣) وبهذا المعنى ورد في السورة الكريمة في قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ﴾(٤) يقول الإمام البقاعي: "كفروا أي ستروا ما دلت عليه عقولهم من شموس الآيات وأنوار الدلالات" إلا أن هذا اللفظ لما جاء الإسلام نقل من هذا المعنى إلى معنى آخر أخص منه وهو أنه ضد

(١) سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتق من أصل لغوي واحد في القرآن ص ٢٢٦، ٢٢٧ .
(٢) سورة الحديد من الآية (٢٠)
(٣) مقاييس اللغة (ك ف ر) .
(٤) سورة فاطر (٣٦) .

الإيمان فكأن الكافر هو من ستر أو غطى ما عليه من الفطرة وأظهر كفره وعناده. يقول ابن فارس: "لما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت. فعفى الآخر الأول ... وذكر من هذه الألفاظ: المؤمن والمسلم والكافر والمنافق ... إلخ.[١] وبهذا المعنى الجديد ورد في قوله -تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾[٢] فاستعمل الكفر في مقابل الإيمان.

ثانيا: تعميم الدلالة:

وهو انتقال بالكلمة من معنى ضيق إلى معنى أوسع منه.[٣] يقول د/ أنيس: "كما يصيب التخصيص دلالة بعض الألفاظ قد يصيب التعميم البعض الآخر، غير أن تعميم الدلالات أقل شيوعًا في اللغات من تخصيصها، وأقل أثرًا في تطور الدلالات وتغيرها".[٤] ومنه في السورة الكريمة لفظ (أحيينا) في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[٥] يقول الإمام

---

(١) الصاحبي ص ٧٨ .

(٢) سورة فاطر آية (٧) .

(٣) دراسات في فقه اللغة . الأنطاكي ص ٣٧٠.

(٤) دلالة الألفاظ ص ١٥٤/١٥٥ .

(٥) سورة فاطر آية (٩) .

الرازي: "الحي كل ذات يصح أن يعلم ويقدر، وهذا القدر حاصل لجميع الحيوانات ... والذي عندي في هذا الباب أن الحي في أصل اللغة ليس عبارة عن الصحة، بل كل شيء كان كاملا في جنسه فإنه يسمى حيا، ألا ترى أن عمارة الأرض الخربة تسمى: إحياء الموات وقال تعالى:﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾[1] وقال: ﴿ فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ والصفة المسماة في عرف المتكلمين إنما سميت بالحياة؛ لأن كمال حال الجسم أن يكون موصوفا بتلك الصفة فلا جرم سميت تلك الصفة حياة، وكمال حال الأشجار أن تكون مورقة خضرة فلا جرم سميت هذه الحالة حياة، وكمال الأرض أن تكون معمورة فلا جرم سميت هذه الحالة حياة، فثبت أن المفهوم الأصلي من لفظ الحي كونه واقعا على أكمل أحواله وصفاته".[2] فلعل هذا اللفظ حدث فيه تطور دلالي بالتعميم إذ كان في الأصل يطلق على كل من يعلم ويقدر، ثم عممت دلالته فأطلق على كل شيء كان كاملا في جنسه كما ذكر الرازي.

ثالثًا: انتقال الدلالة:

وهو: "تحول الكلمة من معنى إلى آخر يختلف عنه كل الاختلاف فلا هو أضيق منه ولا أوسع".[3] أو هو: "أن ينتقل اللفظ من مجال دلالته

---

(١) سورة الروم آية (٥٠) .

(٢) التفسير الكبير ٧ / ٧ .

(٣) دراسات في فقه اللغة – د/ محمد الأنطاكي صـ ٣٧٠ .

إلى مجال دلالة أخرى لعلاقة أو مناسبة واضحة بين الدلالتين".[١] ومنه في السورة الكريمة ما يلي:

١. لفظ (فاطر) في قوله – تعالى -: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[٢] وأصل الفطر في اللغة الشق يقال: فطر ناب البعير إذا بدا، وفطرت الشيء فانفطر، أي: شققته فانشق، وتفطر الأرض بالنبات والشجر والورق إذا تصدعت. هذا أصله في اللغة، ثم صار عبارة عن الإيجاد؛ لأن ذلك الشيء حال عدمه كأنه في ظلمة وخفاء فلما دخل في الوجود صار كأنه انشق عن العدم وخرج ذلك الشيء منه.[٣]

٢. لفظ (النشور) في قوله – تعالى -: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[٤] قال الألوسي: "نشر الله الميت مستعار من نشر الثوب أي بسطه كما قال الشاعر:

طوتك خطوب دهرك بعد نشر

والمراد بالنشور هنا إحياء الأموات في يوم الحساب".[٥] وهو ما أكده ابن فارس في قوله: "النون والشين والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على فَتْحِ شيء وتشعُّبِه. ونَشَرت الخشبةَ بالمنشار نَشْرًا. والنَّشْر: الرِّيح الطيِّبة.

---

(١) الترادف في اللغة ص ٢٤ .

(٢) سورة فاطر آية (١) .

(٣) التفسير الكبير ١٨/ ١٧٣ .

(٤) سورة فاطر من الآية (٩) .

(٥) روح المعاني ٢٢/ ١٧٢.

واكتَسَى البازِي ريشًا نَشَرًا. أي منتشِرًا واسعًا طويلًا. ومنه نَشَرتُ الكِتاب. خِلاف طويتُهُ. ونَشَر الله الموتَى فَنَشَروا. وأنْشَرَ الله الموتَى أيضًا. قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾[1] ثم قال الأعشَى:

حتَّى يقولُ الناسُ لما رأوا يا عَجَبًا للميّت الناشرِ[2]

٣. لفظ (البوار) في قوله – تعالى –: ﴿ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[3] "البوار حقيقته: كساد التجارة وعدم نفاق السلعة، واستعير هنا لخيبة العمل بوجه الشبه بين ما دبره من المكر مع حرصهم على إصابة النبي – ﷺ – بضر وبين ما ينمقه التاجر وما يخرجه من عبابه ويرصفه على مبناته وسط اللطيمة مع السلع لاجتلاب شره المشترين. ثم لا يقبل عليه أحد من أهل السوق فيرجع من لطيمته لطيم كف الخيبة فارغ الكف والعيبة".[4] ويقول الألوسي: " وأصل البوار: فرط الكساد أو الهلاك فاستعير هنا للفساد وعدم التأثير؛ لأن فرط الكساد يؤدي إلى الفساد كما قيل: كسد حتى فسد، ولأن الكاسد يكسد في الغالب لفساده ولأن الهالك فاسد لا أثر له".[5] وهو عين ما ذكره ابن فارس.[6]

---

(١) سورة عبس (٢٢) .

(٢) مقاييس اللغة (ن ش ر) .

(٣) سورة فاطر من الآية (١٠) .

(٤) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٧٥ .

(٥) روح المعاني ٢٢/ ١٧٦ .

(٦) مقاييس اللغة (ب و ر).

٤. لفظ (الوزر) في قوله – تعالى –: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[١] يستعمل لفظ الوزر بكسر الواو وسكون الزاي في الأصل للدلالة على الحمل أو الثقل في الشيء. يقول ابن فارس: " الوزر: حمل الرجل إذا بسط ثوبه فجعل فيه المتاع وحمله".[٢] لكن اللفظ قد استعمل في الآية الكريمة استعمالا مجازيا في معنى الذنب عن طريق الاستعارة؛ لأن الذنوب تثقل صاحبها عن السير في طريق النجاة.[٣] وكثر استعمال اللفظ في هذا المعنى حتى كاد ينصرف إليه الذهن عند إطلاقه.

(١) سورة فاطر (١٨) .

(٢) المقاييس (و ز ر) .

(٣) تفسير سورة فاطر ص ٨٣ .

المبحث الرابع: دلالة السياق في السورة دقائقها وخصائصها

احتلت نظرية السياق في التراث العربي والدراسات اللغوية الحديثة مكانًا بارزًا سواء فيما يتعلق بفهم النصوص واستنباط الأحكام منها أو تحليلها. ولم تكن هذه النظرية وليدة الدراسات الحديثة إذ لها جذور قديمة عند البلاغين الذين تمثلوا فكرة المقام وحكموها في كثير من أحكامهم النقدية والبلاغية، إلا أن علماء اللغة المحدثين كانوا أكثر التفاتًا للتفاصيل التي تحيط بالمقام أو السياق ودوره في تحديد الدلالة بطريقة منهجية؛ لأنهم أدركوا أن طبيعة المعنى المعجمي التعدد والاحتمال. فالكلمات في المعجم ذات أبعاد دلالية متعددة تجعلها صالحة للدخول في أكثر من سياق، ومن ثبوت ذلك لها يأتي بالضرورة تعدد معناها واحتماله في حالة الإفراد.(١)

فلدلالة السياق أهمية بالغة إذ هي أصل أصيل لاسيما في تفسير كلام الله ﷻ إذ بإهمالها يضع المفسر قدمه على عتبات الزلل ويركب مراكب الخلل، وتوسم آراؤه بالعلل فيعظم الخطب ويصبح جلل.

والسياق في اللغة من مادة (س و ق) التي يراد بها حدو الشيء، يقال: ساقه يسوقه سوقًا وسياقًا في معنى حداه أي دفعه أمامه.(٢)

أما في اصطلاح اللغويين فيراد به:

١. تتابع الكلمات في الجمل، أو الجمل في النصوص.

٢. المقام الذي يصاحب الكلام.

---

(١) الكلمة دراسة لغوية ومعجمية – د/ حلمي خليل صـ ٢١٠ .

(٢) مقاييس اللغة (س و ق)

٣. القصة أو الظرف الخارجي الذي يمكن فهم الكلام على ضوئه مضافا إلى ذلك ما يستفاد من المقال.[١]

ويكفي لبيان أهمية السياق في تحديد دلالة الكلمات ما ذكره ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) إذ يقول: "السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم الدلائل على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله – تعالى –: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[٢] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير ..."."[٣] ويقول أحد الباحثين المحدثين: "من الواضح أن معرفة مادة الكلمة وأصلها الاشتقاقي، والصيغة التي صيغت بها لا تكفي غالبًا لتحديد معناها تحديدًا تامًا دقيقًا، فإن كل كلمة بعد أن أخذت مادتها الأصلية، وبنيت على أحد الأوزان الصرفية استعملت في مواطن من الكلام وخصصها الاستعمال بمعان أخص من المعنى العام الذي تدل عليه مادتها، وبتعدد الاستعمال خلال العصور، وفي مختلف المناسبات، وشتى البيئات يتم أكثر من معنى، ويجتمع لها أكثر من دلالة، وللسياق قيمة في تحديد المعاني وفهم الكلام. وأن هذه الاستعمالات التي تستعمل فيها الكلمات، وهذه المعاني الخاصة المحدودة التي تلازمها في بعض العصور

---

(١) دلالة السياق – د/ عبد الفتاح البركاوي صـ ٢٦ .

(٢) سورة الدخان من الآية (٤٩) .

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم ٤/ ٨١٥ .

مدة طويلة أو قصيرة والبيئات التي تعيش فيها هي التي تكون شخصية الكلمة أو ذاتيتها".[١]

أما مصطلح دلالة السياق: فقد عرف في كتابات بعض المعاصرين بتعريفات عدة أهمها: أنها قرينة توضح المراد – لا بالوضع – تؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود أو سابقه. أو أنه: فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده.[٢]

وإذا قلنا – سابقا – أن السياق يعنى تتابع الكلمات في جمل، والجمل في نصوص. والمقام الذي يصاحب الكلام، والقصة أو الظرف الخارجي الذي يمكن فهم الكلام على ضوئه، فإننا قبل تتبعنا لدلالة الألفاظ والتراكيب والأساليب في السورة الكريمة نجد أنها تتلاءم مع أغراضها ومقاصدها، فهي سورة مكية من حيث مقاصدها وأغراضها ونجدها كما قال الشيخ الصابوني: "تسير في الغرض العام الذي نزلت من أجله الآيات المكية، والتي يرجع أغلبها إلى المقصد الأول من رسالة كل رسول، وهو قضايا العقيدة الكبرى (الدعوة إلى توحيد الله، وإقامة البراهين على وجوده، وهدم قواعد الشرك، والحث على تطهير القلوب من الرذائل، والتحلي بمكارم الأخلاق). فتحدثت السورة الكريمة في البدء عن الخالق المبدع الذي فطر الأكوان، وخلق الملائكة والإنس والجان، وأقامت الأدلة والبراهين على البعث والنشور في صفحات هذا الكون المنظور، فالأرض

(١) فقه اللغة وخصائص العربية ص ١٨٢: ١٨٣ .

(٢) دلالة السياق عند الأصوليين ص ٦٢، ٦٣.

تحيا بعد موتها بنزول الغيث، وبخروج الزروع والفواكه والثمار، وبتعاقب الليل والنهار، وفي خلق الإنسان في أطوار، وفي إيلاج الليل والنهار، وغير ذلك من دلائل القدرة والوحدانية. وتحدثت عن الفارق الكبير بين المؤمن والكافر، وضربت لهما الأمثال بالأعمى والبصير، والظلمات والنور، والظل والحرور. ثم تحدثت عن دلائل القدرة في اختلاف أنواع الثمار، وفي سائر المخلوقات من البشر والدواب والأنعام، وفي اختلاف أشكال الجبال والأحجار، وتنوعها ما بين أبيض وأسود وأحمر وكلها ناطقة بعظمة الواحد القهار. وتحدثت بعد ذلك عن ميراث هذه الأمة المحمدية لأشرف الرسالات السماوية بإنزال هذا الكتاب المجيد الجامع لفضائل كتب الله، ثم انقسام الأمة إلى ثلاثة أنواع: المقصر، والمحسن، والسابق بالخيرات. وختمت السورة بتقريع المشركين في عبادتهم للأوثان والأصنام والأحجار.[١] وهي بذلك تكون قد اشتملت على أصول ثلاثة كما قال الرازي هي: الأصل الأول: التوحيد، والأصل الثاني: الرسالة، والأصل الثالث: الحشر.[٢]

فالسورة وحدة متماسكة متوالية الحلقات متتابعة الإيقاعات يصعب تقسيمها إلى فصول متميزة الموضوعات فهي كلها موضوع واحد وإن اختلفت مقاطعها باختلاف مقاصدها وأغراضها، حيث انتقلت من الدلالة على وحدانية الله الخالق المبدع واختصاصه بالرحمة والرزق من الآية

(١) صفوة التفاسير ٢/ ٥٦٣.

(٢) التفسير الكبير ٢٦/ ٥.

رقم (١) وينتهي بالآية رقم (٣) ،إلى التسلية والتسرية عن الرسول العظيم سيدنا محمد – ﷺ – وتحذير الناس من إتباع الشيطان بدءا من الآية رقم (٤) وانتهاءً بالآية رقم (٨)، ثم إلى دلائل الإيمان الكونية في مجال الكون الفسيح والتي تشهد بوحدانيته وخلقه وأنه مالك كل شيء بدءا من الآية رقم (٩) وانتهاءً بالآية رقم (١٤)، ثم الحديث عن المؤمنين والكافرين ومدى الاختلاف بين كل منهما في مقابلات تنتهي ببيان مصارع المكذبين بدءًا من الآية رقم (١٥) وانتهاءً بالآية رقم (٢٦)، ثم انتقل مرة ثانية إلى الكون وما فيه من صحائف معجبة رائعة وكتب منزلة وكل ذلك بعلم الله وإرادته بدءًا من الآية رقم (٢٧) وانتهاءً بالآية رقم (٣٨) ، ثم اختتم السورة بجولات عدة للتنبيه والموعظة، والدلالة على قدرته – ﷻ – وحال المكذبين في الأمم السابقة بدءًا من الآية رقم (٣٩) وانتهاءً بالآية رقم (٤٥) وفيها يتحدث – ﷻ – عن جولة مع البشرية في أجيالها المتعاقبة، يخلف بعضها بعضا، وجولة في الأرض والسماء للبحث عن أي أثر للشركاء الذين يدعونهم من دون الله، وجولة في السماوات والأرض كذلك لرؤية يد الله القوية القادرة تمسك بالسماء والأرض أن تزولا، وجولة مع هؤلاء المكذبين بتلك الدلائل والآيات كلها وهم قد عاهدوا الله من قبل لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم ثم نقضوا هذا العهد وخالفوه فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورًا، وجولة في مصارع المكذبين من قبلهم وهم يشهدون آثارهم الدائرة ولا يخشون أن تدور عليهم الدائرة وأن تمضي فيهم سنة الله الجارية ... ثم الختام الموحي الموقظ

الرهيب: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ وفضل الله العظيم في إمهال الناس وتأجيل هذا الأخذ المدمر المبيد.

وفي هذه المقاطع المتنوعة نجد السياق يقوم بدور فعّال في بيان دلالات كل مقطع حيث نرى فيه ألفاظًا معبرة موحية ذات جرس معين تأتلف مع المقطع، وتراكيب متنوعة خبرية وإنشائية تختلف باختلاف مقصد المقطع وهدفه، وأساليب معينة في صياغة هذه التراكيب لتؤدي الغرض من المقطع وتبرزه في أبهى تعبير وأدق دلالة. وهاك التوضيح:

المطلب الأول: اللفظ والسياق:

لا خلاف بين العلماء في أن التعبير القرآني تعبير فريد في علوه وسموه وأنه أعلى كلام وأرفعه، وأنه بهر العرب فلم يستطيعوا مداناته والإتيان بمثله مع أنه تحداهم أكثر من مرة، فهو إذن تعبير مقصود. كل لفظة، بل كل حرف فيه وضع وضعا مقصودا تبعا للسياق الذي يرد فيه.

وإذا كان للقرآن الكريم خصوصيات في استعمال الألفاظ فإننا نحاول من خلال السورة الكريمة أن نبرز بعض الأسرار الكاشفة عن استعمال بعض الألفاظ دون غيرها أو مرادفها ودور السياق في تحديد أو اختيار لفظ بعينه من دون غيره أو مرادفه. ومن ذلك ما يلي:

١. استعمال لفظ (فاطر) في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ جاء في الإتقان: "أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: "كل شيء في

القرآن فاطر فهو خالق".[1] وقد ورد لفظ (خالق) في قوله تعالى:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[2] وقوله:﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾[3] وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[4] فإذا كان معنى فاطر بمعنى خالق ولم يرد في القرآن الكريم إلا بهذا المعنى فلم آثر في سورة فاطر التعبير بلفظ (فاطر) دون (خالق) وهو في معناه كما آثر التعبير به ـ أيضا ـ في أكثر من موضع مرتبطًا بالاستدلال على كمال قدرته، واستحقاقه للعبادة؟[5] يقول الإمام الرازي موضحًا ذلك: "ههنا ألفاظ تقرب أن تكون مترادفة مثل: الموجد والمحدث والمكون والمنشئ والمبدع والمخترع والصانع والخالق والفاطر والبارئ فهذه ألفاظ عشرة متقاربة ومع ذلك فالفرق حاصل. أما الاسم الأول – وهو الموجد – فمعناه: المؤثر في الوجود، وأما المحدث فمعناه: الذي جعله موجودًا بعد أن كان معدومًا وهذا أخص من مطلق الإيجاد، وأما المكون فيقرب أن يكون مرادفا للموجد، وأما المنشئ فاشتقاقه من النشوء والنماء وهو الذي يكون قليلا قليلا على التدريج، وأما المبدع فهو

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١ / ٤٢١ .

(٢) سورة الأنعام آية (١٠٢) .

(٣) سورة الأعراف آية (٥٤) .

(٤) سورة الأنعام آية (١) .

(٥) انظر سورة يوسف آية (١٠١) ، وإبراهيم آية (١٠) ، والزمر آية (٤٦) والشورى آية (١١) .

الذي يكون دفعه واحدة وهما كنوعين تحت جنس الموجد، والمخترع قريب من المبدع، وأما الصانع فيقرب أن يكون اسما لمن يأتي بالفعل على سبيل التكلف، وأما الخالق فهو عبارة عن التقدير وهو في حق الله تعالى يرجع إلى العلم، وأما الفاطر فاشتقاقه من الفطر وهو الشق ويشبه أن يكون معناه هو الأحداث دفعة، وأما البارئ فهو الذي يحدثه على الوجه الموافق للمصلحة يقال: برى القلم إذا أصلحه وجعله موافقا لغرض معين.(١) أما إيثاره التعبير هنا بـ (فاطر) في السورة الكريمة فيقول الرازي: "إن قيل ما الفرق بين الخالق والفاطر ... فنقول في الجواب: الخلق عبارة عن التقدير وهو في حق الحق – ﷻ – عبارة عن علمه النافذ في جميع الكليات والجزئيات الواصل إلى جميع ذوات الكائنات والممكنات. وأما كونه فاطرا فهو عبارة عن الإيجاد والإبداع، فكونه خالقا إشارة إلى صفة العلم، وكونه فاطرًا إشارة إلى صفة القدرة".(٢)

وسورة فاطر تتحدث في مقطعها الأول الذي ابتدأت به عن وحدانية الله ﷻ وقدرته واستحقاقه للعبادة، ففاطر السموات والأرض – إذًا – خالقهما ومنشؤهما بالتركيب الذي سبيله أن يحصل منه الشق والتأليف عند ضم الأشياء بعضها إلى بعض قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ

(١) التفسير الكبير ١/ ١١٦.

(٢) السابق ١٢/ ١٢١.

حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] ولذا أثر التعبير بـ (فاطر) ليدل على أصل خلقهما، وأنه خلق عن شق ففيه نزع وفيه شدة ... والتعبير القرآني ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يدل على قدرته وإرادته حيث رئب الحمد على وصف مختص به.[2] ويقول ابن منظور: "أَصل الفَطْر الشق ومنه قوله تعالى: (إذا السماء انْفَطَرَتْ) أَي: انشقت "،[3] وقال الراغب: "الشق طولا ثم تجوز فيه عما تقدم وشاع فيه حتى صار حقيقة أيضا "ووجه المناسبة أن السموات والأرض والمراد بهما العالم بأسره؛ لكونهما ممكنين والأصل في الممكن العدم كما يشير إليه قوله – تعالى –: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾... وقيل في ذلك كأنه شق العدم بإخراجهما منه، وقيل لا مانع من حمله على أصله".[4] فالتعبير بلفظ (فاطر) دون غيره هنا يتفق مع سياق الآية الدال على وحدانيته وكمال قدرته واستحقاقه العبادة دون غيره. ومما يدل على ذلك أن لفظ (فاطر) قد تكرر في القرآن الكريم في مقام المنة على الناس وإقامة الحجة على قدرته – ﷻ – وجبروته، إذ إن دلالة الفطر تزيد على دلالة الخلق، ومن ثم كان لفظ (فاطر) في موضع الاحتجاج على القدرة أولى من لفظ (خالق).

---

(١) سورة الأنبياء آية (٣٠) .

(٢) تفسير سورة فاطر د / عبد الحسيب طه حميدة ص ٧ ، ٨ بتصرف .

(٣) لسان العرب (ف ط ر).

(٤) روح المعاني ٢٢ / ١٦١ .

٢. التعبير بالفتح بدلًا من الإرسال في قوله – تعالى –: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فاستعمل لفظ (الفتح) في الآية الكريمة في معنى الإرسال أو الإطلاق على سبيل المجاز يقول الزمخشري: "استعير الفتح للإطلاق والإرسال ألا ترى إلى قوله: ﴿ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ مكان لا فاتح له.[١] وإذا كان كذلك فلم لم يعبر عن المعنى بلفظ يدل عليه على سبيل الحقيقة؟ يقول: وما يرسل بدلا من ما يفتح ليطابق فلا مرسل له من بعده. وفي الإجابة على هذا السؤال نجد أن الإمام أبا السعود (ت ٩٥١هـ) قد بين السر في اختيار لفظ (الفتح) مع الرحمة مع أنها مما لا يفتح مبينًا دقة التعبير القرآني فقال: "عبر عن إرسالها – (أي الرحمة) – بالفتح إيذانًا بأنها أنفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون وأعزها منالًا ... أي: أي شيء يفتح من خزائن رحمته، أية رحمة كانت من نعمة وصحة وأمن وعلم وحكمة إلى غير ذلك مما لا يحاط به فلا ممسك لها أي: لا أحد يقدر على إمساكها".[٢] كذا قال الألوسي: "في اختيار لفظ الفتح رمز إلى أن الرحمة من أنفس الخزائن وأعزها منالًا ...".[٣] أما تعبيره

(١) الكشاف ٣/ ٦٠٦ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٧/ ١٤٢ .

(٣) روح المعاني ٢٢/ ١٦٤ .

عن الإذهاب أو المنع بالإمساك فقال: "وما يمسك" فلأن الإمساك أبلغ من الإذهاب.(١)

ومن هنا يتضح أن للسياق الذي ترد فيه الآية سمة تعبيرية خاصة، فيوضع لفظ للدلالة على معنى غير الذي وضع له، بدلا من لفظ آخر يفيد هذا المعنى أصالة لا لإبراز فصاحة التعبير القرآني وفصاحته في نسق بليغ فحسب، ولكن ليكون ذلك أدل وأدعى إلى التأمل في قدرة الله – ﷻ – واستحقاقه الحمد، إذ بيده كل خزائن الكون وهو وحده – ﷻ – القادر على فتحها وإعطاء من يشاء منها، والمنع أو الإمساك عمن يشاء؛ لذا ختم الآية بما يدل على كمال القدرة وكمال الحكمة فقال: "وهو العزيز الحكيم" أي: الغالب على كل شيء من الأمور ومن جملتها ما يشاء من فتح وإمساك، والحكيم أي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضي به الحكمة الإلهية، فهو يحبس رحمته عمن يريد من خلقه وفق مقتضى حكمته، ويفتحها لمن يشاء من عباده وفق مقتضى حكمته.

ومن يتأمل في هذين اللفظين يجد أن مادة (العزيز) قد استعملت في القرآن الكريم في كل موضع يتطلب القدرة والمنعة، ... وقد استعمل فيه لفظ (الحكيم) فيما يدل على القدرة والعلم والخبرة للدلالة على أن قدرة الله وأوامره وأفعاله مقترنة دائمًا بالحكمة والسداد فليست قوة ظالمة، ولكنها قوة موجهة وقدرة مرشدة.(٢) وبذلك تكون جملة (وهو العزيز

---

(١) الكشاف ١/ ١١١، والتفسير الكبير ٢/ ٦٩ .

(٢) تفسير سورة فاطر ص ٢٠ ، ٢١ بتصرف .

الحكيم) قد قررت ما قبلها، وبينت اتساق لفظي الفتح والإمساك وما فيهما من دلالة على القدرة والإرادة والمنعة مع سياق الآية ودلالة المقطع على وحدانية الله – ﷻ – المبدع من العدم، واختصاصه بالرحمة فيمنحها من يشاء ويمنعها عمن يشاء بحكمته وقدرته. وهذا المعنى لا يفهم من لفظ يرسل ولا من لفظ يمنع؛ لخلوهما من الدلالة على تلك القدرة الربانية والتي أكدها بقوله (وهو العزيز الحكيم).

٣. التعبير بـ (يصنعون) بدلا من (يعملون) في قوله – تعالى –: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾[1] فسياق الآية عن جزاء المؤمنين وجزاء المخدوعين بالشيطان، وأن الجزاء إنما هو من جنس العمل. وإن كان الهدى والضلال بيد الله – ﷻ – فالشيطان زين للكافرين أعمالهم، إذ صور لهم أعمالهم السيئة في صورة حسنة؛ ليقدموا عليها بشره فاختاروا لأنفسهم طريق الضلال بصنيعهم هذا ومخالفتهم لأمره سبحانه، فهو –ﷻ– عليم بصنعهم فهم لا يصنعون إلا الإثم، ولا يجتمعون إلا على الشر، ولا يفكرون إلا في إيذائك وصد الناس عن دعوتك. فمادة الصنع ومضارعها المفيد للتجدد فيها معنى اختيارهم ما يفعلون، وأن استحسان القبيح لهم صار حرفة وصنيعًا".[2] لذا يقول الشيخ ابن عاشور: "عبر بـ "يصنعون" دون "يعملون" للإشارة إلى أنهم يدبرون مكائد للنبي – ﷺ –

(١) سورة فاطر من الآية (٨) .

(٢) تفسير سورة فاطر ص ٤٥.

وللمسلمين فيكون هذا الكلام إيذانا بوجود باعث آخر عن الحسرة عليهم".[١] فكأن الجملة (إن الله عليم بما يصنعون) تعليل لما قبلها مع ما تضمنته من الوعيد الشديد".[٢] وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنها نزلت في أبي جهل ومشركي مكة.[٣] ولذا جاءت مؤكدة بأكثر من مؤكد أهمها: إن، ولفظ الجلالة، ومادة العلم، وصيغة المبالغة "عليم"، والباء الداخلة على جملة مصدرية أو جملة موصولة.[٤] وهذا التأكيد إما تمثيلا لحال الرسول – ﷺ – بحال من أغفله التحسر عليهم عن التأمل في إمهال الله إياهم فأكد له الخبر بـ (إن الله عليم بما يصنعون)، وإما لجعل التأكيد لمجرد الاهتمام بالخبر لتكون (إن) مغنية غناء فاء التفريع فتتمخض الجملة لتقرير التسلية والتعريض بالجزاء عن ذلك".[٥]

والمتأمل للفظ (يصنعون) في القرآن الكريم يدرك أنه يقع تذييلًا أو تعقيبًا وتعليلًا لما فيه اختيار فعل ما من شأنه أن يعرض فاعله لنوع من الجزاء لما يتضمنه الفعل (يصنعون) من الوعيد، والدليل على ذلك أنه جاء كذلك في قوله – تعالى –

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٦٧ .

(٢) الكشاف ٣/ ٦٠٩ ، وفتح القدير ٤/ ٣٣٩ .

(٣) إرشاد العقل السليم ٧/ ١٤٥ .

(٤) تفسير سورة فاطر ص ٤٥ .

(٥) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٦٧ .

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة النور:٣٠].[١] أي: لا يخفى عليه شيء من صنعهم، وذلك لمن لم يغض بصره ويحفظ فرجه[٢]، أو لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الأفاعيل التي من جملتها إجالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك.[٣] ففي التعبير بلفظ (يصنعون) – إذن – إشارة إلى قصد الفعل المختار وتعمد وقوعه، وهذا ما يترتب عليه الوعيد بالعقاب أو الجزاء، وهو معنى لا يتضمنه التعبير بلفظ (يعملون) إذ قد يكون العمل دون قصد فلا يترتب عليه وعيد ولا جزاء والله أعلم.

٤. التعبير بلفظ (الرياح) جمعًا بدلا من المفرد (ريح) في قوله – تعالى –: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[٤] قرأ الجمهور "الرياح" بصيغة الجمع. وقرأ حمزة والكسائي "الريح" بالإفراد، والمعرف بلام الجنس يستوي فيه المفرد والجمع.[٥] فلم كانت قراءة الجمهور هي الأوفق بالسياق؟ نقول: لما كانت الرياح تأتي تارة بالرحمة، وتارة بالعذاب، وتارة تأتي مبشرة بين يدي

---

(١) سورة النور آية (٣٠) .

(٢) فتح القدير ٤/ ٢٢ .

(٣) روح المعاني ١٨/ ١٣٩ .

(٤) سورة فاطر آية (٩) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٩٨، والتحرير والتنوير ٢٢/ ٢٦٧ .

السحاب، وتارة تسوقه، وتارة تجمعه، وتارة تفرقه، وتارة تصرفه.[١] اختلف ورود هذا اللفظ في القرآن الكريم باختلاف ما يدل عليه جمعا أو إفرادا كل منهما في سياق محدد مما يدلنا على أن للقرآ ن الكريم خصوصيات في استعمال الألفاظ، إذ اختص كثيرا من الألفاظ باستعمالات خاصة به مما يدل على القصد الواضح في التعبير. وقد تتبع العلماء مواضع إفراد الريح وجمعها في القرآن الكريم فوجدوا أنه قد استعمل (الرياح) بالجمع حيث وردت في الخير والرحمة، واستعمل (الريح) بالإفراد في الشر والعقوبة ما لم يلحق اللفظ المفرد وصف يخرجه من هذا الاستعمال كقوله – تعالى –: ﴿إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾[٢] يقول ابن قيم الجوزية موضحًا سر جمعها في مواضع من القرآن، وإفرادها في مواضع أخرى: "فحيث كانت في سياق الرحمة أتت مجموعة، وحيث وقعت في سياق العذاب أتت مفردة، وسر ذلك أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والمهاب والمنافع، وإذا هاجت منها ريح أنشأ ما يقابلها مما يكسر سورتها، ويصدم وحدتها فينشأ من بينهما ريح لطيفة تنفع الحياة والنبات، فكل ريح منها في مقابلها ما يعدلها ويرد سورتها، فكانت الرحمة رياحا، وأما في العذاب فتأتي من وجه واحد لا يقوم لها شيء، ولا يعارضها غيرها حتى تنتهي إلى حيث أمرت لا يرد سورتها ولا يكسر شرتها فتمتثل ما أمرت به وتصيب ما أرسلت إليه، ولهذا وصف سبحانه الريح التي أرسلها على عاد بأنها

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٢٠٢ .

(٢) سورة يونس من الآية (٢٢) .

عقيم فقال: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾[1] وهي التي تلفح ولا خير فيها، والتي تعقم ما مرت به ...".[2] ويقول الراغب الأصفهاني: "وعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة".[3] فعمم الحكم أو الاستعمال كما فعل ابن قيم، وهذا ما أؤيده ما لم يوصف المفرد (الريح) بوصف يخرجه عن هذا الاستعمال. أو أنها أرسلت إلى عظيم. والدليل على ذلك ما ذكره ابن عطية من قوله: "الريح إذا أفردت فعرفها أن تستعمل في العذاب والمكروه، لكنها لا يحسن في البحر إلا أن تكون ريحا واحدة متصلة لا نشرا فقيدت المفردة بالطيبة فخرجت عن ذلك العرف وبرع المعنى".[4] وكذا قوله: "الرياح جمع ريح وجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة، مفردة مع العذاب إلا في يونس في قوله: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهذا أغلب وقوعها في الكلام. وفي الحديث: كان رسول الله - ﷺ - إذا هبت الريح يقول: "اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا".[5] قال الفقيه القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية - رحمه الله -: وذلك لأن ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء كأنها جسم واحد، وريح الرحمة لينة

---

(١) سورة الذاريات (٤١) .

(٢) بدائع الفوائد ١/ ١٢٥ وما بعدها .

(٣) المفردات ص ٢٠٦ .

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١١٣ .

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٥٥/٧ حديث رقم ٧٢ (باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته).

متقطعة فلذلك هي رياح، وهو معنى نشر، وأفردت مع الفلك؛ لأن ريح إجراء السفن، إنما هي واحدة متصلة، ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب".[١] وهذا ما أيده الإمام القرطبي وأخذ به مؤيدا أن هذا الاستعمال لكلا اللفظين إنما هو اعتبار بالأغلب في القرآن، لا على سبيل الاطراد.[٢]

وبتتبع المواضع التي ذكرت فيها (الريح) في القرآن الكريم، نجدها قد وردت عشر مرات مجموعة، وهي جميعا في مواطن الرحمة والخير، وجاءت مفردة في تسع عشرة مرة، إذ وردت في ثلاث عشرة منها في سياق العذاب بلا خلاف، وموضعان في الريح التي تسير الفلك، وقد تعين اللفظ في أحدهما لمعنى الرحمة بإجماع المفسرين كما في آية يونس السابقة، أما الثاني فقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٣] فقد اختلف العلماء في كون الريح هنا رحمة كما ذكر ابن المنير[٤]، أو عذابا كما ذكر آخرون من أن إسكان الريح يؤدي إلى تعطيل حركة السفن وهو ضرب من العذاب يؤدي إلى الإضرار باقتصاد الناس وتوقف حركة تجارتهم وتنقلاتهم ... فكما كان إرسالها مفردة دمارا وهلاكا في مثل قوله – تعالى –: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ

(١) المحرر الوجيز ١/ ٢٣٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٣) سورة الشورى آية (٣٣) .

(٤) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ٣/ ٤٧١ .

ٱلْعَقِيمَ ﴾[1] كان إسكانها مع حاجة السفن إليها في حركتها ووصولها إلى غاياتها عذابًا كذلك.[2] وفي مواضع ثلاثة ذكرت مرسلة إلى مختص عظيم فكانت أشبه بالرحمة كتلك التي تسير الفلك وذلك في الامتنان على سليمان عليه السلام بتسخير الريح كما في قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾[3] وقوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ﴾[4] وقوله: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[5] فهي في هذه المواضع الثلاثة شبيهة بالريح التي تسير السفن إذ هي وسيلة انتقال سريعة خارقة أجراها الله لنبيه سليمان عليه السلام ، وكما أن الريح إذا تعددت مهابها كانت وبالا على السفن وراكبيها وإعاقة حركتها، فكذلك أرادها الله ريحا واحدة متصلة تبلغ بسليمان عليه السلام إلى حيث يريد من أرض الله، وهذا هو سر إفرادها.[6]

وبالنظر في آية (فاطر) نجد أن قراءة الجمهور أوفق لأداء المعنى المراد والذي لا يتأتى إلا بجمع اللفظ – أي الرياح – إذ هي رياح خير تثير السحاب فتسقط الأمطار في بلد ميت فتنبت به الأرض الجدباء كإحياء

---

(١) سورة الذاريات (٤١).

(٢) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن ص ٢٠٩ .

(٣) سورة الأنبياء آية (٨١) .

(٤) سورة سبأ آية (١٢) .

(٥) سورة ص آية (٣٦) .

(٦) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ ص ٢١٠ .

الموتى يوم البعث. أما قراءة حمزة والكسائي فمرجوحة وإن جعلا الريح اسم جنس يستوي فيه المفرد والجمع وهو أمر غير مسلم به عند البعض. يقول أحد الباحثين المحدثين: "هذا التعليل للإفراد والجمع – (أي في استعمال لفظ الريح والرياح) – غاية في الدقة والروعة، فلما كانت ريح العذاب شديدة مدمرة لا تهدأ ولا تنقطع كانت ريحا واحدة، بخلاف رياح الرحمة التي تثور فتحمل معها السحاب الماطر، وتهدأ لتسمح بسقوط الأمطار، فكان تعدد هبوبها بمثابة رياح متعددة تحمل الخير والرحمة، وتسقي الأرض والأنعام والناس. وجاء تعليله لإفراد الريح المسيرة للفلك في آية يونس رائعا كذلك حيث كان وصفها بالطيبة أشبه بالاحتراس من اختلاط الفهم وتخيل أن تكون ريحا مهلكة، كما أن تعدد الرياح المسيرة للفلك سبب من الأسباب التي تعوق حركتها، وربما يؤدي إلى هلاكها.[1]

٥. التعبير بالصفة المشبهة في (عذب وملح) بدلًا من اسم الفاعل (عاذب ومالح) في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[2] يقول الإمام الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ): "وقوله (هذا عذب) صفة مشبهة من قولهم: عَذُبَ الماء بالضم فهو عذْبٌ، وقوله: (فرات) صفة مشبهة أيضا من قولهم: فَرُتَ الماء بالضم فهو فراتٌ إذا كان شديد العذوبة. وقوله: (وهذا ملح) صفة مشبهة أيضا من قولهم: مَلُحَ الماء بالضم والفتح فهو ملح. قال الجوهري في صحاحه: "ملح الماء

(١) السابق ٢٠٩ .

(٢) سورة فاطر من الآية (١٢) .

يملح ملوحا، وكذلك ملح بالضم ملوحة، فهو ماء ملح، ولا يقال مالح إلا في لغة ردية".[١] وقد أجاز ذلك بعضهم واستدل له بقول القائل:

وَلَوْ تَفَلَتْ فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ عَذْبًا لَأَصْبَحَ مَاءُ الْبَحْرِ مِنْ رِيقِهَا مَالِحٌ

وَقَوْلُهُ: أُجَاجٌ، صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ أَيْضًا، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَجَّ الْمَاءُ يَؤُجُّ أُجُوجًا فَهُوَ أُجَاجٌ، أَيْ: مِلْحٌ مُرٌّ، فَالْوَصْفُ بِكَوْنِهِ أُجَاجًا يَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ الْمَرَارَةِ عَلَى كَوْنِهِ مِلْحًا،وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.[٢]

وإذا كان أبو حيان قد أجاز وصف الماء بالمالح؛ لأن الماء يوجد في الضفيان بأن يكون مملوحًا من جهة غيره ومالحا لغيره، وإن كان من صفته أن يقال: ماء ملح موصوف بالمصدر أي ماء ذو ملح.[٣] إلا أن ابن جني جعل وصف الماء بكونه مالحا ليس من الفصاحة فقال: "مالحا" ليست فصيحة صريحة؛ لأن الأقوى في ذلك ماء ملح، ومثله من الأوصاف على (فعل) نضو، ونقض، وحلف.[٤]

أما عن سر وصف البحر بكونه عذبًا، وفراتًا، وملحًا، وأجاجًا. على الصفة المشبهة دون اسم الفاعل فإن ذلك يبدو واضحًا في بيان قيمة التعبير من الناحية الدلالية، ومدى ارتباط ذلك بالسياق. إذ هو سياق فيه

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (م ل ح).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٦/ ٦٦ .

(٣) البحر المحيط ٦/ ٤٦٤ .

(٤) المحتسب ٢/ ١٢٤ .

الحديث عن الدلالة على القدرة الكاملة لله ﷻ وما أودعه في البحرين من نعم ثابتة وأوصاف لازمة لكل منهما لا تفارقه ولا تتغير ولا يستطيع أحد تغييرها مما يدل على بديع خلقه ودلائل قدرته وبراهين وحدانيته سبحانه. فاستعمل في التعبير عن صفات البحرين الصفة المشبهة (هذا عذب فرات، وهذا ملح أجاج) أي ملح مر؛ لأن الصفة المشبهة أقوى في المعنى أو في الدلالة على المعنى من اسم الفاعل؛ لما فيها من الثبوت والدوام، بخلاف اسم الفاعل الدال على التجدد والحدوث، أو على أمر مقدر وقوعه لا واقعًا بالفعل؛ وذلك لأن اسم الفاعل عند النحاة هو: اسم مشتق يدل على معنى مجرد حادث وعلى فاعله.(١) فقوله "يدل على معنى حادث" أي: عارض يطرأ ويزول، فليس له صفة الثبوت والدوام ولا ما يشابههما. وقيل المراد بالمعنى الحادث: المعنى المتجدد بتجدد الأزمنة.(٢)

أما الصفة المشبهة: فهي ما اشتق من فعل لازم لمن قام به على معنى الثبوت.(٣) أي: تدل على معنى ثابت في المتصف بها كـ" حسن، وجميل، وشجاع، ومرح، وعذب، وأبيض، وأحور.(٤) يقول أحد الباحثين: "لتحديد الفرق بين اسم الفاعل والصفة المشبهة ينبغي أن نركز على جانب المعنى الذي يشتمل على معنى الصيغة والدلالة الزمنية كواحد من

(١) النحو الوافي ٣/ ٢٣٩ .

(٢) نحو اللغة العربية د/ محمد أسعد النادي ص ١٣٣ .

(٣) شرح الكافية ـ ابن جماعة ص٣٤٣ .

(٤) نحو اللغة العربية ص ١٤٧

أهم الأمور التي يتضح بها الفرق بينهما. فإذا كان اسم الفاعل بصيغته يدل على التجدد والحدوث فإن الصفة المشبهة تدل على الثبوت واللزوم، وإذا كان اسم الفاعل يحتمل الدلالة على المضي أو الحال أو الاستقبال فإن الصفة المشبهة تدل على الماضي المتصل بالزمن الحاضر، ولهذا يصح أن نقول: هو ظامىء أمس أو غدا، لكن لا يصح أن تقول: هو ظمآن أمس أو غدا؛ لأنك لا تقول: ظمآن إلا لمن اتصف بالظمأ في الزمن الحال".[1] ومما يدل أيضا على قوة الصفة المشبهة في الدلالة: أن الناطق بالصفة المشبهة يريد أربعة أمور مجتمعة هي:

أ. المعنى المجرد أي الوصف أو الصفة.

ب. صاحبه الموصوف به.

ج. ثبوت ذلك المعنى له وتحققه ثبوتًا زمنيًا عامًا يشمل الماضي والحاضر والمستقبل فلا يختص ببعض منها دون الآخر، بمعنى أنه لا يقتصر على الماضي وحده، ولا على الحال وحده، ولا على المستقبل وحده كذلك. ولا يقتصر على زمنين دون انضمام الثالث إليهما، فلا بد أن يشمل الأزمنة الثلاثة بأن يصاحب موصوفه فيها، فوصف شخص بالجمال معناه الاعتراف بالجمال له، وأن هذا الجمال ثابت متحقق في ماضيه وحاضره وفي مستقبله غير مقتصر على بعض منها.

---

(١) أسماء الله الحسنى (دراسة فى البنية والدلالة) – د/ أحمد مختار عمر ص ٩٤

د. ملازمة ذلك الثبوت المعنوي العام للموصوف ودوامه؛ لأنه يقتضي أن يكون المعنى المجرد الثابت وقوعه وتحققه ليس أمرًا حادثًا الآن، ولا طارئًا ينقضي بعد زمن قصير، إنما أمر دائم ملازم صاحبه (الموصوف) طول حياته، أو أطول مدة فيها حتى يكاد يكون بمنزلة الدائم ... فالناطق بالكلمة على صورة الصفة المشبهة يريد الأمور الأربعة مجتمعة إن كان خبيرًا باللغة وبدلالة الألفاظ فيها.(١)

أما اسم الفاعل فدلالته على المعنى المجرد الحادث أغلبية؛ لأنه قد يدل – قليلًا – على المعنى الدائم أو شبه الدائم نحو: دائم، وخالد، ومستمر، ومستديم.(٢) ومع دلالة اسم الفاعل على التجدد والحدوث فهو يقع في موقع وسط بين الفعل والصفة المشبهة، فهو أدوم وأثبت من الفعل، لكنه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة إلا إذا دل دليل على ذلك ..... فكلمة (راحم) في قوله تعالى: ﴿ وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(٣) أدوم وأثبت من (رحم) أو (يرحم) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾(٤). أو قوله: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ ﴾(٥) ولكنها لا تصل في ثبوتها إلى مستوى الصفة المشبهة (رحمن) أو (رحيم).

---

(١) النحو الوافي ٢٨٢/٣، ٢٨٣ بتصرف

(٢) السابق ٢٨٢/٣، ٢٨٣ بتصرف.

(٣) سورة الأعراف من الآية (١٥١)

(٤) سورة هود من الآية (٤٣)

(٥) سورة العنكبوت من الآية (٢١)

وقد كان معنى الحدوث والطروء مراعى في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾[1]. فقد فضل (ضائق) على (ضيق) للدلالة على أن الضيق عارض غير ثابت؛ لأن الرسول ﷺ كان أفسح الناس صدرًا.[2]

ومن هنا ندرك أن التعبير بالصفة المشبهة بدلا من اسم الفاعل في (عذب فرات، وفي ملح أجاج) أوفق بالسياق الدال على بديع صنعه وكمال قدرته – ﷻ – إذ إن هذه الصفات لازمة للبحرين لا تنفك عنهما أبدا إلى يوم الدين، فأحدهما عذب فرات أي طيب كاسر للعطش ومزيل له دائما.[3] والآخر ملح شديد المرارة دائما؛ لأن الوصف بكونه (أجاج) يدل على زيادة المرارة على كونه ملحًا.[4] يقول الشيخ الألوسي: "وفرق الإمام بين الملح والمالح: بأن الملح الماء الذي فيه الطعم المعروف من أصل الخلقة كماء البحر، والمالح الماء الذي وضع فيه ملح فتغير طعمه ولا يقال فيه إلا مالح".[5]

٦. التعبير بلفظ (الحرور) بدلا من لفظ (الحر) في قوله تعالى : ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ﴾[6] لم ترد كلمة (الحرور) في القرآن الكريم إلا مرة

---

(١) سورة هود من الآية (١٢)

(٢) أسماء الله الحسنى ص٩٣، ٩٤

(٣) روح المعاني ٢٢/ ١٧٩.

(٤) أضواء البيان ٦/ ٦٦ .

(٥) روح المعاني ٢٢ / ١٧٩ .

(٦) سورة فاطر آية (٢١) .

واحدة وهو هذا الموضع، أما كلمة (الحر) فقد وردت في القرآن ثلاث مرات في قوله تعالى﴿ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾[1] وقد نزلت في شأن المنافقين حين تقاعسوا عن قتال المشركين. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾[2] فهل اللفظان معناهما واحد؟ ولم كان لفظ الحرور في آية فاطر أوفق للسياق بلفظه ومعناه؟ نقول: إن الحر معروف وهو نقيض البرد. أما (الحرور) فقد قيل عنه إنه النار، وقيل: الحرور بمنزلة السموم وهي الرياح الحارة.[3] وقيل الحرور: السموم، إلا أن السموم يكون بالنهار، والحرور بالليل والنهار، وقيل بالليل خاصة.[4] وجاء في اللسان عن أبي عبيد: السموم: الريح الحارة بالنهار وقد تكون بالليل. والحرور: الريح الحارة بالليل وقد تكون بالنهار.[5] أما في الآية الكريمة فالمقصود به الريح الحارة بالليل خاصة بدليل قوله قبله (ولا الظل) لأن الظل هو المكان الذي حجبت عنه الشمس وكان هادئا لا ريح فيه، وهو ظل محدود تحيط بمكانه الشمس. فبين اللفظين إذن فرق واضح في المعنى. أما من حيث ملائمة لفظ

(١) سورة التوبة آية (٨١) .

(٢) سورة النحل آية (٨١) .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٢٨/٢٢ .

(٤) الكشاف ٦١٧/٣ .

(٥) اللسان (ح ر ر) .

(الحرور) في سورة فاطر للسياق والمعنى لفظا ومعنى فهذا ما وضحه أحد الباحثين المحدثين بقوله: "أما من حيث السياق اللفظي فإن صلة (الحرور) بسياقها تقوم على انسجام واضح ... فهي فاصلة تنسجم في الحرف الأخير مع الفواصل التي تسبقها والتي تلحقها، فقبلها: البصير، والنور. وبعدها: القبور، ونذير، فكلها تنتهي بحرف الراء، وتنسجم معها في الختام ... فكلها تختم بمقطع ممدود يتكون من حرف مد (واو أو ياء) ومن حرف الراء . (أي تنتهي بمقطع طويل ص ح ح ص) – وكلها . (أي الفواصل السابقة واللاحقة لها) . تنسجم معها في وزن الكلمة الفاصلة كلها، فأكثرها وزنها (فعول أو فعيل)، هذا كله يكون موسيقى رخية ذات نغمات متماثلة أو متقاربة، تقع في وسطها نغمة كلمة (حرور) كأنها جنات اللؤلؤ المتجاورة المتماثلة في العقد النظيم على هذا ..كما أن المعنى لا يسمح بأن تحل كلمة (حر) محل كلمة (حرور)؛ وذلك لاختلاف المعنى فيهما. فإن الموسيقى اللفظية لا تسمح بأن يحل ذلك المصدر محل هذه الصفة التي تأتي اسما لريح الظلام، أو هي صفة للريح تسد مسدها؛ لأنها ريح خاصة تهب ليلا.(١)

هكذا يتضح – مما سبق – أن للقرآن الكريم خصوصيات في استعمال الألفاظ وأنه اختص بعض الألفاظ في سورة فاطر باستعمالات خاصة تدل على دقة التعبير القرآني ووضوحه وأدائه للمعنى الذي يتسق

(١) سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن ص ٢٢٧ .

مع نسق السورة التعبيري والدلالي والذي يتماشى مع مقاصد السورة الكريمة وأهدافها وموضوعاتها التي تناولتها في مقاطعها الستة كما سبق.

المطلب الثاني: دلالة التراكيب في سياق السورة وأسرارها:

تعد الدلالة التركيبية إحدى الدلالات التي أولاها العلماء اهتمامًا واسعًا قديمًا وحديثًا. ذلك أن الوحدة الحقيقية لما يسمى لغة أو كلاما وهي تلك الوحدة التركيبية المسماة بالجملة، حيث يرتبط حولها الدرس العلمي، ويتعانق فيها التصور الذهني بالمفهوم الاصطلاحي.(١) وتختص هذه الدلالة ببيان معاني الجمل التامة المفيدة في اللغة، ولا يتم ذلك إلا عن طريق إعرابها وتوضيح أجزائها وصولا إلى المعنى الكلي لها. فبالإعراب تتضح المعاني، وبدونه لم يوقف على مراد المتكلم، ومن ثم فصحة الإعراب وسلامته تؤدي إلى صحة المعنى وتعين على فهم المقصود من الكلام، وفساد الإعراب أو عدم وضوحه يؤدي إلى فساد المعنى وعدم استقامته. وقد وضح ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) دور الإعراب في توضيح الدلالة فقال: "فأما الإعراب فبه تميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين، وذلك لو أن قائلا قال: ما أحسن زيد غير معرب. أو: ضرب عمرو زيد غير معرب. لم يوقف على مراده. فإذا قال: ما أحسنَ زيدًا، أو ما أحسنُ زيد، أو: ما أحسنَ زيدٌ. أبان الإعراب عن المعنى الذي أراده".(٢) لذا عرف النحاة الإعراب بأنه: الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم

(١) علم اللغة العام أسسه ومناهجه ١٦٠ .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ص ٢٠٩ .

لتعاقب العوامل في أولها.[١]

فالإعراب إذن وثيق الصلة بالمعنى، ولم تدخل علامات الإعراب على الكلمات اعتباطا، وإنما جاءت لأداء وظيفة أساسية ألا وهي حسن التركيب أو النظم، وإفادة المعنى المقصود من الكلام. وعلى هذا فلا التفات إلى قول من أنكر دلالة الإعراب على المعاني كـ قطرب (ت٢٠٦هـ) من القدامى إذ حصر وظيفة الإعراب في: السرعة في الكلام، والتخلص من التقاء الساكنين عند اتصال الكلام[٢]، ود/ إبراهيم أنيس من المحدثين والذي حصر وظيفة الحركة الإعرابية في وصل الكلمات بعضها ببعض دون أن يكون لها أثر في المعنى.[٣]

وبالنظر في التراكيب العربية نجدها متنوعة ومتفاوتة بين جملة خبرية (اسمية تارة، وفعلية تارة ثانية)، وجملة إنشائية (طلبية تارة، وغير طلبية تارة ثانية). وأن لكل جملة خصائص معينة في الصياغة، وأوضاعًا مختلفة في التراكيب بحيث تؤدي المراد منها وهو إيصال المعنى للمخاطب أو السامع دون لبس، إذ تدل هذه الخصائص وتلك الأوضاع على معان يكون بها الكلام وافيًا، ومطابقًا لما يتطلبه الموقف الداعي إليه.

ولما كانت المواقف مختلفة فإن تعبيرات وتراكيب الكلام تكون متفاوتة تبعًا لذلك. فبلاغة الكلام أن يكون مطابقًا لمقتضى الحال مع فصاحته.

---

(١) شرح المفصل. ابن يعيش ١/ ٧٢.

(٢) الإيضاح في علل النحو للزجاجي ص٧٠، وفصول في فقه العربية ص ٣٧٢.

(٣) من أسرار اللغة ص ٢٣٧.

والكلام الجيد هو الذي تتوفر فيه الخصائص المشيرة إلى ألوان المعاني .... فكلما كان بخصائص تراكيبه أكثر شمولًا واستيعابًا للفكر والشعور كان أعلى، وواضح أن كثرة الخصوصيات التي هي من عوامل ارتفاع شأن الكلام والحكم عليه بالجودة هي الخصوصيات التي وراءها رصيد من الأفكار والمعاني.(١) لذا فإننا نتتبع بعض التراكيب الإلهية الحكيمة الواردة في سورة (فاطر) نحاول من خلالها قدر جهدنا أن نكشف عن بعض خصائص هذه التراكيب وأسرارها وما توحي به من أفكار ومعان توضح مقاصد السورة الكريمة وأهدافها وتتفق مع موضوعاتها.

ولما كانت مقامات السورة ومقاطعها متنوعة من الدلالة على وحدانيته ﷻ تارة، والتسلية لنبيه ﷺ تارة ثانية، والحديث عن المجال الكوني الفسيح الدال على قدرته والموصل إلى غاية مفادها إثبات حقيقة قدرته على البعث تارة ثالثة، والموعظة والتذكير تارة رابعة، إلى غير ذلك من مقاطع السورة . فإنه بتأمل خصائص التراكيب في السورة الكريمة نجدها متنوعة بتنوع هذه المقاطع من البدء بالاسم أو الفعل في الجملة الخبرية، وما يتضمنه كل منهما من دلالة متفقة مع السياق العام للمقطع، ومن تعريف للمسند إليه تارة وتنكيره تارة ثانية، وكذا المسند، ومن تقديم للمسند على المسند إليه أو تأخيره عنه، ومن ذكر أو حذف لكليهما، ومن تكرير أو غيره لإفادة غرض ما، ومن عطف بعض الكلام على

(١) خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني) – د/ محمد أبو موسى ص ٧٣، ٧٤ بتصرف.

بعض أو فصله عنه، إلى غير ذلك من التراكيب الموحية بخصائصها عن مضمون الكلام في أبهى صورة. يقول الخطيب القزويني: "ومقتضى الحال مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة ... وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام".[1] وهاك التوضيح:

أ ـ دلالة الجملة الخبرية والإنشائية:

يستعمل القرآن الكريم الأسماء والأفعال في الجملة استعمالا في غاية الدقة والجمال، إذ لكل منهما خصوصية في الاستعمال أو التركيب لتحديد الدلالات وفق السياق الذي يقتضيه المقام، وعلى هذا فالسياق ذو أثر فاعل في تحديد هذه الدلالات، وهذا يتضح من كون الجملة اسمية أو فعلية (خبرية أو إنشائية). فالفعل يدل على التجدد والحدوث، والاسم يدل على الثبوت والاستمرار. ويظهر هذا واضحا في قولك: هذا الشيء أبيض، وقولك: هذا الشيء يبيض، فقولك: أبيض يفيد أن صفة البياض ثابتة لا تحدث فيه ولا تتجدد كاللبن مثلا، وقولك: يبيض يفيد أنه يتحول إلى البياض شيئًا فشيئًا فبياضه يحدث ويتجدد، وإذا تقرر هذا الفرق ظهر أنه لا يصح وضع أحدهما موضع الآخر فلكل منهما سياق يقتضيه أو

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ص ١٣.

صورة من المعنى لا يدل عليها غيره.[١]

فدلالة الفعل – إذن – على التجدد، والاسم على الاستمرار أصل واضح، ولكن الدقة والصعوبة يكمنان في ملاحظة اقتضاء المقام لأحدهما ... فالمهم – إذن – أن نتعرف على مجرى المعنى وسياقه، وكيف كان تجدد الحدث أو ثبوته يخصب المعنى ويبسط حواشيه؟ وكيف يكون مهدرًا لأجزاء من المعنى ينطفي بها الكلام؟ [٢]

ومما ينبغي التأكيد عليه أن الفعل مع دلالته على التجدد والحدوث يفيد أيضًا تقييد المسند بأحد الأزمنة التي يدل الفعل عليها، فإذا كان ماضيًا فإنه يقيد الحدث بالزمن الماضي، وإذا كان مضارعًا قيده بالحال أو الاستقبال وهكذا، وذلك بخلاف الاسم فإنه لا يدل على زمان.[٣]

وبالنظر في السورة الكريمة – (سورة فاطر) – نجد أن القرآن الكريم في التعبير بالجملة قد استعمل الفعل والاسم استعمالا في غاية والدقة، سواء أكانت هذه الجملة خبرية، أو إنشائية تبعًا لغاياتها وأهدافها وموضوعاتها المتنوعة بتنوع مقاطعها، وهو ما يبدو جليًا في التالي:

١ ـ دلالة الجملة الخبرية:

في الجمل الخبرية استعمل القرآن الكريم الأسماء والأفعال استعمالا يكاد يكون متكافئًا إذ تبلغ الجمل الاسمية في السورة حوالي اثنتين وسبعين

---

(١) خصائص التراكيب ص ٢٩٧ .

(٢) السابق ص ٣٠١ .

(٣) السابق ص ٢٩٩ .

جملة، على حين تبلغ الجمل الفعلية الخبرية حوالي خمسًا وسبعين جملة، ولكل جملة من هذه الجمل أسرارها ودقائقها أو خصائصها التي تبرز من خلال السياق وما يقتضيه المقام من المقال، وهو ما سنحاول الكشف عنه في الصفحات التالية من خلال السورة الكريمة.

- **الجملة الاسمية:**

من ذلك ابتداء السورة بما يدل على وحدانيته وكمال قدرته فناسب ذلك ما يحقق أمرًا ثابتًا مستقرًا في النفوس فقال أولا: "الحمد لله" وفي هذا التعبير يشعر القرآن الكريم المخاطبين بأنهم مطالبون بالإقرار بأمر هو في نفسه ثابت لله على طريق الاستحقاق الذاتي كما تفيده (اللام) في (لله) مع معنى الاختصاص والحصر ذاك الأمر هو ثبوت الحمد لله، فهي إذن جملة اسمية يقصد بها ثبوت الحمد لله؛ ليحكيه العبد في التلاوة مؤمنًا به. فهو – ﷻ– مستحق للحمد سواء حمده حامد أو لم يحمده.

– ومن ذلك التعبير باسم الفاعل (فاطر، وجاعل) وهما للمضي بدلا من التعبير بالفعل (فطر، وجعل) وإن كان قد قرئ بهما في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ﴾؛ لأن في ذلك إشارة إلى صفة القدرة وهي صفة لازمة له ﷻ ثابتة ومستقرة لا تتغير ولا تتبدد ولا تتجدد. يقول الإمام الرازي: "قال ابن الأنباري: أصل الفطر شق الشيء عند ابتدائه فقوله: (فاطر السموات والأرض) يريد: خالقهما ومنشئهما بالتركيب الذي سبيله أن يحصل فيه الشق والتأليف عند ضم الأشياء إلى بعض، فلما كان الشق جاز أن يكون في حال شق إصلاح

وفي حال أخرى شق إفساد ففاطر السموات من الإصلاح لا غير. وقوله ﴿ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ ، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ من الإفساد وأصلهما واحد".[1] فهما بمنزلة المستقر الثابت.

– ومن ذلك التعبير بالاسم بدلا من الفعل (فلا ممسك لها) و (فلا مرسل له) في جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ وذلك للدلالة على اختصاصه ﷻ بإمساك الرحمة بجميع أنواعها أو إرسالها، فكأن الإمساك والإرسال صفتان له سبحانه. فاسم الفاعل في (ممسك) و(مرسل) للدلالة على أن الإمساك والإرسال للرحمة من قبل الله تعالى أمر حاصل لا محالة، فكأنه تم واستقر وثبت إذ هما من خواصه التي يختص بها سبحانه. أما الفعل نفسه فهو متجدد إذ يفتح أبواب رحمته لمن يشاء في أي وقت شاء ويغلقها كذلك؛ لذا قال: (ما يفتح .... وما يمسك).

– ومن ذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾[2] لأن الخبر الذي تحمله الجملة المؤكدة . إن وعد الله حق . خبر عام يتطلب إيمان الناس جميعا، وتصديقهم باليوم الآخر، فالتصديق به جزء من الإيمان ... وتأكيد الجملة للاهتمام بالخبر، ونفي الشك الذي وقع فيه كثير من المشركين نفيا مؤكدا، ولهذا آثر التعبير بلفظ (حق) للدلالة على الثبوت،

(١) التفسير الكبير ١٢/ ١٤٠ .

(٢) سورة فاطر من الآية (٥).

وأنه حق ثابت لاشك في حصوله.[١] ومن ذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ﴾[٢] لأنها عداوة عامة قديمة لا تكاد تزول. ويشعر بذلك الجملة الاسمية (لكم عدو)[٣] ولم يقل (يعاديكم) إذ هي عداوة مودعة في جبلته كعداوة الكلب للهر؛ لأن جبلة الشيطان موكولة بإيقاع الناس في الفساد وأسوأ العواقب في قوالب محسنة مزينة.[٤]

وعلى هذا فإن الخطاب بالجملة الاسمية يحقق معنيين كما ذكر الإمام أبو حمزة العلوي هما: الأول: أن تريد أن الفاعل قد فعل ذلك الفعل على جهة الاختصاص به دون غيره ... والثاني: ألا يكون المقصود الاختصاص، وإنما المقصود التحقق وتمكين ذلك المعنى في نفس السامع بحيث لا يخالجه فيه ريب، ولا يعتريه شك. [٥]

- **التعبير بالجملة الفعلية:**

كما يحقق الخطاب بالاسم دلالات معنوية كذلك فإن الخطاب بالجملة الفعلية يحقق معاني ومقاصد دلالية، إذ يحتل الفعل أهمية كبيرة في الجملة العربية، فهو العنصر الذي يدل على حيوية الحدث، بخلاف المصدر الذي يدل على مجرد الحدث، فالفعل يدل على الحدث المرتبط

---

(١) تفسير سورة فاطر ص ٣٢.

(٢) فاطر آية (٦) .

(٣) روح المعاني ٢٢/ ١٦٨.

(٤) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٦١.

(٥) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٢/٢٥ ، ٢٦ .

بالزمن من حيث المضي والاستقبال كما يدل على تجدده من حيث الاستمرار. والسياق مؤثر عرضي مهم في توجيه دلالات الأفعال، وذلك عند وجود السياقات الخاصة التي تقلب دلالة المضارع من الاستقبال إلى المضي مثل (لم) الجازمة عليه فالمضارع معها أو حين يأتي بعدها يكون دالا على المضي أو لحكاية الحال الماضية، وكذلك قد يحول السياق أو يوجه الماضي من المضي إلى الدلالة على الاستقبال وذلك عند دخول (إذا) عليه؛ لأنها ظرف لما يستقبل من الزمان. فكلها دلالات سياقية عارضة في الأفعال وليست أصيلة فيها، ولا تلغي أصل الصيغة الفعلية وإنما تتدخل في إعادة توجيه دلالتها أحيانا؛ لذا كان للفعل في لغة العرب، بل وفي غيرها من اللغات الأخرى خصوصية دلالية تنبع من سياق الكلام وتتعاون معه في أداء المعنى المقصود من منطوق اللفظ أو الفعل، وهو ما نريد توضيحه هنا من خلال البحث في الدلالة التركيبية للجملة الفعلية في السورة الكريمة إذ اشتملت السورة الكريمة على جمل فعلية كثيرة ومتنوعة وذات دلالات خاصة ناتجة عن السياق الواردة فيه على النحو التالي:

– فمن التعبير بالمضارع قوله تعالى:﴿ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ ﴾[1] للدلالة على التجدد إذ هي استئناف مقرر لما قبله من تفاوت الملائكة –عليهم السلام – في عدد الأجنحة، أي يزيد في أي خلق كان كل ما يشاء أن يزيده ... قال الفراء والزجاج: هذا في الأجنحة التي للملائكة، أي يزيد

(١) فاطر من الآية (١) .

في خلق الأجنحة للملائكة ما يشاء فيجعل لكلٍ ستة أجنحة أو أكثر وروي ذلك عن الحسن، وكأن الجملة لدفع توهم عدم الزيادة على الأربعة.[١] يقول الشيخ ابن عاشور: "وجملة (يزيد في الخلق ما يشاء) مستأنفة استئنافًا بيانيًّا؛ لأن ما ذكر من صفات الملائكة يثير تعجب السامع أن يتساءل عن هذه الصفة العجيبة، فأجيب بهذا الاستئناف بأن مشيئته تعالى لا تنحصر ولا توقت (أي: هي في تجدد مستمر) ولكل جنس من أجناس المخلوقات مقوماته وخواصه".[٢] ومنه قوله – تعالى – ﴿ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[٣] أي بالمطر والنبات، وهما أمران متجددان لا يستقران ولا يثبتان.

– ومن التعبير بالمضارع عن المتجدد حدوثه في الحال والاستقبال قوله – تعالى – ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [٤] ذكر الله – ﷻ– الإضلال وأضافه إلى نفسه بالصورة الفعلية فقط للدلالة على أن هذا أمر طارئ يفعله من يستحقه، ولم يسند هذا الأمر إلى نفسه بالصورة الاسمية للدلالة على أن هذا ليس من صفات الله ونعوته كما قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴾[٥] وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ١٦٤.
(٢) السابق ٢٢/ ٢٥١ .
(٣) سورة فاطر من الآية (٣) .
(٤) سورة فاطر من الآية (٨) .
(٥) سورة غافر من الآية (٣٤) .

ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[1] وقال: ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[2]. في حين وصف الشيطان بذاك أي بالاسم بدلا من الفعل فقال: ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴾[3] فجعله وصفًا ثابتًا له ويجدده أيضًا ﴿ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[4] فجعل وصف الشيطان الثابت والمتجدد الإضلال، كما جعل الله وصف ذاته العلية الثابت والمتجدد الهداية فقال: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[5] وقال: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴾[6] وقال: ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[7] وقال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ ﴾[8][9]. فكأن قول (يهدي من يشاء) بصيغة المضارع الدال على التجدد والحدوث لمراعاة المجانسة مع قوله: (فإن الله يضل من يشاء)

(١) سورة غافر من الآية (٧٤) .
(٢) سورة البقرة من الآية (٢٦) .
(٣) سورة القصص من الآية (١٥) .
(٤) سورة الحج آية (٤) .
(٥) سورة الحج من الآية (٥٤) .
(٦) سورة الفرقان من الآية (٣١) .
(٧) سورة المائدة آية (١٦) .
(٨) سورة يونس من الآية (٣٥) .
(٩) التعبير القرآني ص ٣٢ .

وإلا فهو – أي الوصف بالهداية – أمر ثابت له سبحانه. ولهذا نظائر عدة في السورة الكريمة.(١)

– أما التعبير بالماضي المتحقق وقوعه فكما في قوله – تعالى –: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾(٢) لتحقق وقوع الكفر منهم، وكذا قوله في جملة الصلة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾(٣) لتحقق وقوع الإيمان منهم وكذا فعلهم العمل الصالح ...كذا قوله: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ (٤) ومنه قوله – تعالى –: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ﴾(٥).

ومن هنا ندرك أن للسياق أثره الفاعل في تحديد دلالات التراكيب، بل إنه هو نفسه يفرض نوعا معينا من التركيب ليؤدي دلالة معينة وغرضا محددا. فللتراكيب الاسمية دلالتها الخاصة بها ولا يصح أن يحل محلها غيرها، وللتراكيب الفعلية الخبرية أيضا دلالتها الخاصة بها باعتبار زمانها وموقعها. لكن قد يحدث أن يتغاير الأسلوب في التراكيب فينتج عن ذلك عدم اطراد الكلام في ظاهر المقال، وهو ما سيتبين عكسه أي اطراده مع المقام أو السياق كما سيأتي عند دراستنا لدلالة الأساليب إن شاء الله

---

(١) ينظر: سورة فاطر الآيات (٨، ١٠، ٣٣، ٤١، ٤٢) .

(٢) سورة فاطر من الآية (٧) .

(٣) سورة فاطر من الآية (٧) .

(٤) سورة فاطر من الآية (٣٧) .

(٥) سورة فاطر من الآية (١١) .

تعالى.

٢ ـ دلالة الجملة الإنشائية:

بالنظر في السورة الكريمة نجد أنها تشتمل إجمالًا على ثلاثة مقاصد أو أصول حددها الإمام الرازي وهي: التوحيد، والرسالة، والحشر كما سبق أن أشرنا؛ ولذا فإنها قد اشتملت آياتها على القدرة الربانية في إيجاد الأشياء على غير مثال سبق، واختصاصه -ﷻ- وحده بالرحمة، وانفراده بالرزق. وغير ذلك من الأمور الدالة على وحدانيته مما يتطلب شكره على هذه النعم. ومن هنا تعددت الجمل التعبيرية الدالة أو الداعية إلى ذلك ما بين خبرية، وإنشائية (طلبية، وغير طلبية) وهذا في الحديث عن الأصل الأول وهو التوحيد. أما في الحديث عن الأصل الثاني هو الرسالة فقد كثرت الجمل الإنشائية فيه عن سابقه؛ لما في ذلك من تسلية وتحذير وبيان فضل. وأما في الحديث عن الأصل الثالث وهو الحشر فتكاد تخلو جمله وعباراته من الجمل الإنشائية تمامًا. فالسورة الكريمة في مقاطعها الستة لا تخلو من الأصول الثلاثة وإن جاءت مرتبة في المقاطع الثلاثة الأولى، ثم ذكرت ثانيا لاسيما التوحيد والرسالة في المقاطع الثلاثة الأخرى مما جعلها وحدة متماسكة متوالية الحلقات متتالية الإيقاعات.

لكن بالنظر في الجمل الإنشائية (طلبية وغير طلبية) نجد أنها قد استعملت في السورة الكريمة استعمالًا خاصًا بدلالات معينة غير دلالاتها الأصلية في أكثرها لتتفق مع مقاصد السورة الكريمة التي تتطلب وضعًا معينا لهذه الجمل، ودلالة محددة تتفق مع سياق الآية بل سياق السورة،

ويمكن توضيح ذلك في التالي:

- **دلالة الجملة الإنشائية الطلبية:**

الإنشاء الطلبي هو: ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب.(١) والجملة الإنشائية الطلبية تشتمل على: الأمر، والاستفهام، والنداء، والنهي، وقد بلغ عدد ورودها في السورة اثنتين وعشرين مرة. جاء فيها النداء والنهي على حقيقتهما. إذ ورد النداء ثلاث مرات وكان موجهًا للناس كافة بقوله (يا أيها الناس) وذلك في حديثه – ﷻ – عن الدعوة أو التوجيه إلى ذكر النعم بعد أن بين – ﷻ – وحدانيته واستحقاقه الحمد الثابت. وكذا في تحذير الناس من اتباع الشيطان، وكذا في معرض حديثه عن احتياج الناس إليه واستغنائه عنهم في قوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾(٢).

أما النهي فقد ورد ثلاث مرات في المقطع الثاني وهو الحديث عن الرسالة. وذلك في نهيه عن الانخداع بالحياة، وعن إتباع الشيطان الغرور، كذا في تسليته للرسول – ﷺ – حين حزن على عدم اتباع كثير من الناس لدعوته قائلا له: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾(٣)

وأما الأمر والاستفهام فقد استعملا في السورة الكريمة على نحو خاص

---

(١) شرح التلخيص للقزويني ص ٨١ .

(٢) سورة فاطر من الآية (١٥) .

(٣) سورة فاطر من الآية (٨) .

ودلالة خاصة فكانا على النحو التالي:

ـ دلالة الأمر:

الأمر في أصل وضعه وضع للدلالة على الطلب على سبيل الوجوب والإلزام. إذ يطلب به حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل نحو:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾[١] وقد عبر عنه العلوي بقوله: "صيغة تستدعي الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من وجهة الغير على جهة الاستعلاء". [٢] يقول ابن فارس: "الأمر عند العرب ما إذا لم يفعله المأمور به سمي المأمور به عاصيًا".[٣] وهذا الأصل في دلالة الأمر هو ما أخذ به عند الأصوليين[٤].

وبتأمل مواضع ورود فعل الأمر في السورة الكريمة نجد أنه ورد فيها خمس مرات وقد استعمل في اثنتين منها في مطلق الطلب وذلك في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ﴾[٥] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾.[٦] كما جاء الأمر طلبيا على سبيل الدعاء في قوله: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ﴾[٧] فالأمر

---

(١) سورة الأحزاب من الآية (١) .

(٢) الطراز ١٥٥/٣ .

(٣) الصاحبي ١٣٨ .

(٤) الأمر صيغته ودلالته عند الأصوليين ٣٥ .

(٥) سورة فاطر من الآية (٣) .

(٦) سورة فاطر من الآية (٦) .

(٧) سورة فاطر من الآية (٣٧) .

في (أخرجنا) دعاء والتماس؛ لأنه من الأدنى إلى الأعلى. فهو وإن كان في الآية الكريمة طلب إلا أنه ليس على سبيل الوجوب والإلزام.

أما الموضعان الآخران فكان لفعل الأمر دلالة خاصة ترتبط بالسياق العام للسورة والمقطع والآية إذ لم يستعمل في الطلب، وإنما استعمل على لدلالة أخرى مجازية ذلك عل النحو التالي:

– الدلالة على الإهانة كما في قوله: ﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[1] فقوله: ﴿فَذُوقُواْ﴾ إشارة إلى الدوام وهو أمر إهانة فما للظالمين الذين وضعوا أعمالهم وأقوالهم في غير موضعها وأتوا بالمعذرة في غير وقتها من نصير في وقت الحاجة ينصرهم.[2] فكأن الأمر هنا قد استعمل في معنى الخبر للدلالة على أمر يتحقق وقوعه مستقبلا فعبر عنه في صورة الحال. حيث شبه شدة وقع النار عليهم وإدراكهم مسها بالذوق وكأنه أمر مائل للعيان.

– الدلالة على التعجيز كما في قوله: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾[3] يقول الإمام الرازي: " أروني أمر تعجيز للتبيين، فلما قال (أرأيتم) يعني أعلمتم هذه التي تدعونها كما هي وعلى ما هي عليه من العجز أو تتوهمون فيها قدرة، فإن كنتم تعلمونها عاجزة فكيف تعبدونها، وإن كان وقع لكم أن لها قدرة فأروني قدرتها في أي شيء هي، أهي في الأرض كما

---

(١) سورة فاطر من الآية (٣٧) .

(٢) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٧ .

(٣) سورة فاطر من الآية (٤٠) .

قال بعضهم إن الله إله السماء وهؤلاء آلهة الأرض ... أم هي في السموات كما قال بعضهم إن السماء خلقت باستعانة الملائكة والملائكة شركاء في خلق السموات وهذه الأصنام صورها، أم قدرتها في الشفاعة لكم كما قال بعضهم إن الملائكة ما خلقوا شيئا ولكنهم مقربون عند الله فنعبدها ليشفعوا لنا.."[1] قال أبوحيان: "الأمر (أروني) ليس للطلب وإنما هو للتعجيز والتبكيت فكأنه إخبار منه – ﷻ – بعجزهم وعدم قدرتهم".[2]

– دلالة الاستفهام:

الاستفهام كما تدل صيغة (الاستفعال) هو طلب الفهم. ولكن أساليب الاستعمال تجعل ذلك أقل دلالات الصيغة خطرًا وبخاصة في السياق القرآني؛ لأن الله – ﷻ – يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فهو منزه عن طلب الفهم. ومن ثم يكون للاستفهام في القرآن الكريم وظائف أخرى غير ذلك.

وبالنظر في سورة (فاطر) نجد أن الاستفهام فيها قد ورد فيها عشر مرات، جاء على حقيقته كما هو في أصل وضعه، أي: الدلالة على طلب الفهم في مقام تعجيز وتبكيت الكافرين كما في قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى

(١) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٧ .

(٢) البحر المحيط ٧/ ٣٠٢ .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ﴾[1] فالعلماء قد أجمعوا على أن الاستفهام في قوله (ماذا خلقوا من الأرض) استفهام حقيقي. أما فيما عدا ذلك فقد استعمل الاستفهام في دلالات أخرى أهمها: الإنكار، والتوبيخ، والتعجب، والتقرير. وهو – أي الاستفهام – في هذه الدلالات يكون بمعنى الخبر، وعلى هذا فالاستفهام قسمان: بمعنى الخبر، وبمعنى الإنشاء.

والاستفهام بمعنى الخبر ضربان كما ذكر السيوطي أحدهما نفي، والثاني إثبات. فالوارد للنفي يسمى استفهام إنكار، والوارد للإثبات يسمى استفهام تقرير؛ لأنه يطلب بالأول إنكار المخاطب، وبالثاني إقراره.[2]

أما عن استعماله في معنى الإنكار فيقول د/ تمام حسان: "الاستفهام الإنكاري وسيلة محاجة وإقناع ويشمل ذلك نوعين من الأدلة هما: الأدلة العقلية، والأدلة الحسية، فالأدلة الحسية تلفت الأنظار إلى الظواهر الكونية لاستخراج العبرة منها، والاستدلال على قدرة الله – ﷻ – وهو الذي خلق كل شيء بقدر، وصوره بحسب حكمة بالغة".[3] وهو ما يتفق مع مضمون السورة الكريمة في أكثر مواضعه. لكن بتأمل مواضعه في السورة نجد أنه جاء نفيًا تارة، وتهكمًا، وتوبيخًا، وتعجبًا تارة ثانية، وفي جميعها تأكيد على مضمون الجملة الخبرية بعده. فمن مجيئه نفيًا أو نهيًا وذلك إذا

(١) سورة فاطر من الآية (٤٠) .

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣٢٨/٢ .

(٣) البيان في روائع القرآن ٢/ ٢١١ .

خلت جملة الاستفهام الإنكاري من أداة نفي قوله – تعالى–﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾[1] يقول البقاعي: "لما كان الاستفهام بمعنى النفي أكده بـ (من) فقال: (من خالق) أي للنعم وغيرها ولما كانت (من) للتأكيد فكان "خالق" في موضع رفع .... ".[2] ويقول الشيخ ابن عاشور: "والاستفهام إنكاري في معنى النفي، ولذلك اقترن ما بعده بـ (من) التي تزاد لتأكيد النفي، واختير الاستفهام بـ (هل) دون الهمزة لما في أصل معنى (هل) من الدلالة على التحقيق والتصديق؛ لأنها في الأصل بمعنى (قد) وتفيد تأكيد النفي".[3] كذا قوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ﴾[4] ومنه في السورة قوله: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ﴾[5] يقول الإمام البقاعي: " لما جعل استقبالهم لذلك انتظارا منهم له وكان الاستفهام إنكاريا فكان بمعنى النفي قال: (إلا سنة الأولين). و(لن) في قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾ لتأكيد النفي.[6]

---

(١) سورة فاطر من الآية (٣) .

(٢) نظم الدرر ٢٠٣ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٥٤ .

(٤) سورة فاطر من الآية (٨).

(٥) سورة فاطر من الآية (٤٣) .

(٦) نظم الدرر ص ٢٣٦ .

– ومن الاستفهام بمعنى (التعجب) أي دعوة العباد إلى العجب من أمر ما، وليس العجب منه سبحانه؛ لأن الله سبحانه خالق كل شيء فلا يعجب من شيء خلقه فإذا ورد من أساليب التعجب في القرآن شيء فالمقصود هو التعجب أي دعوة عباده إلى العجب من أمر ما.[١] ومن ذلك في السورة قوله ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ (فَأَنَّىٰ) اسم استفهام يجيء بمعنى استفهام عن الحالة أو عن المكان أو عن الزمان. والاستفهام عن حالة انصرافهم هو المتعين هنا، وهو استفهام مستعمل في التعجب من انصرافهم عن الاعتراف بالوحدانية تبعا لمن يصرفهم وهم أولياؤهم وكبراؤهم.[٢] – وكذا كان الاستفهام دالا على التعجب في قوله: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[٣] وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[٤]

– ومن الاستفهام بمعنى (التوبيخ) قوله – تعالى -:﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[٥] يقول الزمخشري: "أو لم نعمركم. توبيخ من الله يعني فنقول لهم: وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف

(١) السابق ٢/ ١٩٤ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٥٦ .

(٣) سورة فاطر آية (٢٦) .

(٤) سورة فاطر من الآية (٤٤) .

(٥) سورة فاطر من الآية (٣٧) .

من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن التوبيخ في المتطاول أعظم"[١]. ويقول أبو حيان: "هو استفهام توبيخ وتوقيف وتقرير".[٢]

– ومن الاستفهام بمعنى (التقرير) قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ فالاستفهام هنا تقرير لظهور المستفهم عنه، وهو إنزال الماء من السماء، فالرؤية هنا علمية، أي ألم تعلم. ومنه قوله – تعالى –: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ فالاستفهام في (أرأيتم) لتقرير التوحيد وإبطال الإشراك كما قال الرازي وأبو حيان[٣].كما أن الاستفهام فيه لتأكيد الجملة الخبرية في قوله آخر الآية ﴿ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ يقول د/تمام حسان: "إذا جاء فعل الرؤية وبعده جملة خبرية (مثبتة أو منفية أو مؤكدة) أو فعلها أمر كان معنى الاستفهام بالرؤية (هل تعلم) وكان هذا الاستفهام وسيلة لتأكيد الجملة الخبرية في آخر الكلام".[٤]

وللاستفهام دلالات أخرى غير ما سبق إلا أنها لم ترد في السورة الكريمة، وقد ذكرها المرادي.[٥] وهكذا حمل السياق القرآني بأسلوبه الحكيم المبدع دلالات متنوعة لأسلوبي الأمر والاستفهام يخرجهما عن

---

(١) الكشاف ٣/ ٦٢٥ .

(٢) البحر المحيط ٧/ ٣٠٢ .

(٣) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٩، والبحر المحيط ٧/ ٣٠٢ .

(٤) البيان في روائع القرآن ٢/ ٢١٧ .

(٥) الجنى الداني في حروف المعاني صـ ٣ .

مضمونهما في أصل الوضع.

- **دلالة الجملة الإنشائية غير الطلبية (جملة الشرط):**

الإنشاء غير الطلبي هو ما لا يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب. ويشمل: القسم، والتعجب، وصيغ المدح والذم.[1] وتعد الجملة الشرطية جملة إنشائية نظرًا لتوقف حصول شيء فيها وهو الجواب على شيء آخر هو الشرط، وقد حفلت هذه الجمل في السورة الكريمة بأسرار تركيبية ذات دلالات غير نمطية في سياقات عدة. وقد بلغ مجمل ورودها في سورة فاطر ست عشرة مرة وكانت أداة الشرط المستعملة هي: (ما ـ إن ـ من ـ إذا ـ لو) لكننا سنقتصر من هذه التراكيب على التراكيب غير المألوفة مع أداة شرط معينة، وما أضافه هذا التركيب من دلالة مخالفة لدلالة التركيب المألوف، ودور السياق في تحديد الدلالة طبقًا لهذا التركيب.

التركيب مع أداتي الشرط (إن) و (إذا) وأبعاده الدلالية:

المعنى الأصلي لـ (إن) الذي تستعمل فيه على سبيل الحقيقة اللغوية هو: عدم جزم المتكلم بوقوع الشرط في الاستقبال. أي بشك في وقوع الشرط في المستقبل، وتوهم وقوعه فيه أي أنها كما قال السيوطي تكون للمحتمل والمشكوك فيه والمستحيل كقوله – تعالى –: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾[2] ولا تدخل على متيقن ولا راجح. وقد تدخل على

(١) شرح التلخيص ٨١.

(٢) سورة الزخرف آية (٨١) .

المتيقن لكونه مبهم الزمان نحو: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾(١).(٢)

والمعنى الأصلي لـ (إذا) الذي تستعمل فيه على سبيل الحقيقة اللغوية هو: جزم المتكلم بوقوع الشرط في المستقبل. فهي ظرف للمستقبل مضمنة معنى الشرط غالبا، ومن ثم وجب إيلاؤها الجملة الفعلية ولزمت الفاء في جوابها نحو: قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾(٣) وهي خاصة بالمتيقن والمظنون؛ لذا خالفت أدوات الشرط فلم تجزم إلا في الضرورة.(٤)

فإن، وإذا للشرط في الاستقبال، ومعنى كونهما للشرط: أنهما لتعليق أمر بغيره أي تعليق حصول الجزاء على حصول الشرط، وهذا يستوجب أن يكون الجواب والشرط غير ثابتين؛ لأن الثبوت ينافي التعليق، فإذا قلت: إن تكرمني أكرمك، فقد علقت إكرامك له بإكرامه لك. فكلا الإكرامين غير حاصل الآن وإنما قد يحصل في المستقبل، ولما كانت دلالة الاسم بأصل وضعه على الثبوت، ودلالة الفعل على الحدوث والتجدد كان المناسب للشرط هو الفعل بخلاف الاسم فإن دلالته على الثبوت

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٣٤) .

(٢) همع الهوامع ٢/ ١٧٩، ١٨٠ .

(٣) سورة النصر الآيات (١، ٢، ٣) .

(٤) همع الهوامع ٢/ ١٧٩: ١٨٠ .

تنافي التعليق الذي هو معنى الشرط، وإذا عرفت أن (إن) و(إذا) للتعليق في الاستقبال فاعلم أن الشرط وجوابه لا يصح أن يكونا ماضيين لفظا ومعنى؛ لأن ذلك ينافي كونهما للمستقبل.(١)

وبالنظر في سورة فاطر نجد أن أداتي الشرط (إن) و(إذا) قد دخلتا على المستقبل أي المضارع تارة، وعلى الماضي تارة ثانية لأداء وظيفة دلالية يقتضيها المقام ويتطلبها السياق. أما عن دخولهما على المستقبل وهو المضارع فلا سؤال فيه إذ هو الأصل كما في الآيات (٤، ١٤، ١٨، ٢٥) وذلك مع أداة الشرط (إن) خاصة. وأما عن دخول (إن) على الماضي فقد جاء في قوله – تعالى –: ﴿۞ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾ فقال: (إن أمسكهما) بالماضي المحقق وقوعه، ولم يقل (لن يمسكهما) إبرازًا للشرط في معرض الحاصل، أو للإشارة إلى أن ذلك الفعل كائن قطعًا(٢)، أي: إن زالت السموات والأرض فلن يستطيع أحد كائن من كان إسقاطهما ... أي لا يستطيع أحد كائنًا من كان إمساكهما وإرجاعهما.(٣) وهو أمر ثابت لتحقق وقوعه. فكأن المخالفة هنا بالعدول من المضارع في جواب (إن) إلى الماضي في اللفظ فقط لإبراز غير الحاصل في معرض الحاصل. ومن ذلك قوله: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ

(١) خصائص التراكيب ص ٣٣٥ .

(٢) السابق ص ٣٣٦ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ ﴾[1] فإن الشرطية داخلة على الماضي (جاء)؛ لإرادة الاستقبال؛ لأنه لم يأت بعد بدليل قوله (ليكونن) ولم يقل لكانوا، وإنما عبر بالماضي في الموضع المتوهم وقوعه أو الشاك في وقوعه؛ لإبرازهم الكلام المنتظر وقوعه توهمًا في نظرهم – وهو مجيء الرسل – في صورة الأمر المحقق وقوعه، وكأن المعنى: حين يأتيهم النذير سيكونون أهدى من إحدى الأمم في اعتقادهم.

أما (إذا) فقد استعملت في الشرط المقطوع بوقوعه كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴾[2] فجيء بـ إذا مع الماضي (جاء أجلهم)؛ لأن مجيء الأجل أمر مقطوع بوقوعه، ولم يقل (فإذا يأتي أجلهم). وإنما عبر بالماضي المتحقق وقوعه عن المستقبل؛ لأنه ماض بمعنى المضارع أي المستقبل، إذ هو أمر متيقن وقوعه مستقبلا.

ب ـ من الدلالات التركيبية الأخرى في السورة:

تحدثنا – فيما سبق – عن نوعي الجملة العربية ودلالة كل منهما ومدى ملائمتهما لسياق سورة فاطر، وهنا نتحدث عن لمحات دلالية في البناء التكويني للجملة العربية والتي تتكون من مسند إليه ومسند ومتعلقات، إذ بتأمل الآيات القرآنية الواردة في السورة الكريمة نجد أن هذا البناء التكويني قد اعتراه بعض التغييرات من تقديم وتأخير، وحذف، وتكرار... إلخ. ولكل من هذه الأمور قيمة دلالية محددة يفرضها السياق

(١) سورة فاطر من الآية (٤٢) .

(٢) سورة فاطر من الآية (٤٥) .

الذي اقتضاها لتحقيق غرض ما. ويمكن توضيح ذلك فيما يلي:

١ ـ دلالة التقديم والتأخير:

تخضع الجملة العربية لنظام معين في ترتيب مفرداتها وفق قوانين وسنن معينة قد سنها النحاة لبناء الجملة العربية، إلا أننا قد وجدنا في كلام العرب خروجًا عن هذا النظام، إذ هو ليس نظامًا مقدسًا لا يجوز المساس به، فثمة تغيرات تطرأ على طريقة الترتيب بحيث يقدم عنصرًا أو يؤخر آخر، وقد أفاض النحاة في الحديث عن مواضع تقديم ما حقه التأخير، أو تأخير ما حقه التقديم بحيث يكون مشروطا بشروط محددة لا يتعداها. يقول أحد الباحثين المحدثين: "إن فن التقديم والتأخير فن رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير، والذين أوتوا حظا من معرفة مواقع الكلام وليس ادعاء يدعي أو كلمة تقال. وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن – كما في غيره – الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب. ولم يكتف القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه، بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله. فنرى التعبير متسقا متناسقا مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة متكاملة. إن القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض دقة عجيبة، فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير، وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك، كل ذلك مراعي فيه سياق الكلام

والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة".[1]

ترتيب أجزاء الجملة يخضع لأغراض المتكلمين، ويعد الشيخ عبدالقاهر من أبرز العلماء الذين اهتموا بهذه الظاهرة وكشفوا عن أسرارها الجمالية في لغة العرب عامة ولغة القرآن الكريم خاصة، إذ كانت عنده وسيلة من وسائل بيان الإعجاز القرآني في تراكيبه التي تحدى بها العرب رغم أنها من جنس كلامهم وطرائقهم في تعبيراتهم، فقد عقد لهذه الظاهرة اللغوية فصلًا في التقديم والتأخير بين فيه الفروق اللغوية والمعنوية بين حالات الاستعمال، وهنا نريد أن نبين بعض الفروق الدقيقة في المعاني تبعًا لاختلاف مواضع التركيب في الأساليب من حيث التقديم والتأخير؛ لنكشف عن بعض اللمحات الدلالية في السورة الكريمة، ونبين بعض أسرار التراكيب العربية من خلالها، إذ اشتملت على ألوان متعددة من هذه الأساليب التركيبية وهاك التوضيح:

أ ـ تقديم المسند على المسند إليه وأثره الدلالي:

– ومنه قوله – تعالى–: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [سورة فاطر:٧].[2] فتقدم المسند في الجملتين وهو قولهم (لهم) على المسند إليه وهو قوله في الأولى (عذاب شديد)، وفي الثانية (مغفرة وأجر كبير) وذلك لتخصيص المسند بالمسند إليه، أي قصر المسند إليه عليه، أي: أن العذاب الشديد مختص بالكافرين، والمغفرة

(١) التعبير القرآني ص٥٣ .

(٢) سورة فاطر من الآية (٧) .

والأجر الكبير مختصان بالمؤمنين. ويجوز أن يكون تقديم المسند على المسند إليه هنا للتشويق إلى ذكر المسند إليه حتى إذا سمعه السامعون تمكن في نفوسهم تمام التمكن.[١] كما في قوله عن الكافرين: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ﴾[٢]، يقول أحد الباحثين المحدثين: "تقدم الجار والمجرور هنا – (لهم نار جهنم) – لعلتين: الأولى: هي التشويق لمعرفة ما لهم فيتمكن في النفوس ذكر المسند إليه، الثانية: هي تحقق كون العذاب لهم لا لغيرهم فيفيد التأكيد".[٣]

ومما كان فيه تقديم المسند على المسند إليه للدلالة على الاختصاص أيضا قوله – تعالى –: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾[٤] أي من كان يريد العزة فليطلبها من الله تعالى، فلله وحده لا لغيره العزة، فهو سبحانه يتصرف فيها كما يريد، إذ لا شيء لغيره فيها.[٥] وقد تكرر ذلك في السورة الكريمة.[٦]

وقد يكون تقديم المسند على المسند إليه للتشويق لذكره والاهتمام به كما في قوله – تعالى –: ﴿ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ﴾ فقدم الخبر (من

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣١٧ .

(٢) سورة فاطر آية (٣٦) .

(٣) دلالات التقديم والتأخير ص٥٧٥ .

(٤) سورة فاطر من الآية (١٠) .

(٥) نظم الدرر ٢٠٨ ، وروح المعاني ٢٢/ ١٧٣ ، وتفسير سورة فاطر ص٥٣ .

(٦) ينظر الآيتان: (١٣ ، ١٨) .

الجبال) على المبتدأ (جدد) للاهتمام وللتشويق لذكر المبتدأ حثا على التأمل والنظر.[1]

ب ـ تقديم المفعول به على الفاعل وأثره الدلالي:

– قوله – تعالى – ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ يقول الزمخشري: "فإن قلت: هل يختلف المعنى إذا قدم المفعول في هذا الكلام أو أخر؟ قلت: لابد من ذلك، فإنك إذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى إن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم، وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله – تعالى – (ولا يخشون أحدا) وهما معنيان مختلفان".[2] فتقديم المفعول؛ لأن المقصود حصر الفاعلية، ولو أخر انعكس الأمر. يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في تعليله لهذا التقديم في الآية: "في تقديم اسم الله – ﷻ – معنى، خلاف ما يكون لو أخر. فتقديم اسم (الله) إنما كان لأجل أن الغرض أن يبين الخاشون من هم، ويخبر بأنهم العلماء خاصة دون غيرهم، ولو أخر ذكر اسم (الله)، وقدم العلماء فقيل: إنما يخشى العلماء الله، لصار المعنى على ضد ما هو عليه الآن، ولصار الغرض بيان المخشي من هو، والإخبار بأنه الله تعالى دون غيره. ولم يجب حينئذ أن تكون الخشية من الله تعالى مقصورة على العلماء، وأن يكونوا مخصوصين بها كما هو الغرض من الآية، بل كان يكون المعنى أن غير العلماء يخشون

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣٠٢ .

(٢) الكشاف ٣/ ٦٢٠ .

الله تعالى أيضا، إلا أنهم مع خشيتهم لله تعالى يخشون معه غيره، والعلماء لا يخشون غير الله تعالى. وهذا المعنى وإن كان قد جاء في التنزيل في غير هذه الآية كقوله (ولا يخشون أحدا إلا الله) فليس هو الغرض في الآية، ولا اللفظ يحتمل له البتة. ومن أجاز حملها عليه كان كمن أبطل فائدة التقديم وسوى بين قوله – تعالى-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ وبين أن يقال: إنما يخشى العلماء الله ... ".[1] ويقول الألوسي: "وتقديم المفعول؛ لأن المقصود بيان الخاشين والإخبار بأنهم العلماء خاصة دون غيرهم، ولو أخر لكان المقصود بيان المخشي والإخبار بأنه الله تعالى دون غيره كما في قوله – تعالى – (ولا يخشون أحدًا إلا الله) والمقام لا يقتضيه، بل يقتضي الأول ليكون تعريضًا بالمنذرين المصرين على الكفر والعناد وأنهم جهلاء بالله تعالى وبصفائه ولذلك لا يخشون الله تعالى ولا يخافون عقابه".[2] وهذا الأثر الدلالي للتقديم والتأخير لم يظهر إلا مع أداة القصر (ما وإلا، أو إنما)

ج – تقديم الجار والمجرور على متعلقه وأثره الدلالي:

الأصل في الجار والمجرور أن يأتي بعد الفعل؛ لأنه متعلق به، لكنه قد يقدم على فعله ليؤدي دلالة معينة يقتضيها السياق كالآتي:

---

(١) دلائل الإعجاز ١/ ٢٥٩ ، ٢٦٠ بتصرف .

(٢) روح المعاني ٢٢/ ١٩١ .

– الدلالة على الاختصاص كما في قوله – تعالى -:﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾[1]، وقوله:﴿يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[2] إذ الأمور كلها بيد الله وإليه راجعة، وكذا الأعمال لا ترفع إلا إليه ليثيب عليها ويجازي بها، وليفيد أن كل ما يقدم من عمل صالح وكلم طيب لغير الله فلا ثواب عليه ولا فائدة منه[3]. كذا قوله: (وما ذلك على الله بعزيز).

– الدلالة على الاهتمام بالمسند إليه كما في قوله – تعالى –: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ﴾ فتقديم (لكم) على متعلقة (عدو) للاهتمام بعداوته والانتباه له وعدم التغافل عن عداوته[4] ومن ذلك قوله: ﴿ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ بقول ابن عاشور: " وتقديم الظرف في قوله: " فيه مواخر " على عكس آية سورة النحل ؛ لأن هذه الآية مسوقة مساق الاستدلال على دقيق صنع الله تعالى في المخلوقات، وأدمج فيه الامتنان بقوله: (يأكلون ... وتستخرجون حلية) وقوله: (لتبتغوا من فضله) فكان المقصد الأول من سياقها الاستدلال على عظيم الصنع فهو الأهم هنا. ولما كان طفو الفلك على الماء حتى لا يغرق فيه أظهر في الاستدلال على عظيم الصنع من الذي ذكر النعمة والامتنان قدم ما يدل عليه وهو الظرفية في البحر. والمخر في البحر آية صنع الله أيضا بخلق وسائل ذلك والإلهام له،

---

(١) سورة فاطر من الآية (٤) .

(٢) سورة فاطر من الآية (١٠) .

(٣) دلالات التقديم والتأخير ص ٥٦٧ .

(٤) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٦٠، ودلالات التقديم والتأخير ص ٥٦٧ .

إلا أن له خطورة السفر من ذلك الوصف، أو ما يتبادر إلى الفهم فأخر هنا؛ لأنه من مستتبعات الغرض لا من مقصده، فهو يستتبع نعمة تيسير الأسفار لقطع المسافات التي لو قطعت بسير القوافل لطالب مدة الأسفار".[١]

د ـ تقديم الصفة على الموصوف وأثره الدلالي:

الأصل في الصفة أن تتبع الموصوف لكن في قوله – تعالى –: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ تقدمت الصفة وهي قوله (سوء) على الموصوف وهو (العمل)، فالأصل في العمل أن يوصف بكونه صالحًا، أو حسنًا، أو سيئًا أو غير ذلك. وإنما قدمت الصفة هنا على الموصوف لمناسبة السياق. وليكشف من أول وهلة عملهم المزين وأنه عمل سوء، وليبادر إلى التنفير منه، وصرف النبي – ﷺ – عن الحزن عليهم، والحسرة لمآلهم، والمبالغة في دعوتهم.[٢]

هـ ـ تقديم المؤكِّد على المؤكد وأثره الدلالي:

الأصل في اجتماع التابع والمتبوع أنهم يقدمون المتبوع فيقولون: أبيض ناصع، وأصفر فاقع، وأحمر قان، وأسود غربيب. قال الله –تعالى–: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾[٣] والمعنى أن التابع فيه زيادة الوصف، فلو قدم لكان ذكر الموصوف بعده عيبًا إلا أن يكون

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٨٠ .

(٢) تفسير سورة فاطر ص٤٤ .

(٣)البقرة من الآية (٦٩)

المعنى أوجب تقديمه.[١] لكن ورد في سورة (فاطر) ما يفيد تقديم الصفة على الموصوف لبيان معنى يقتضيه السياق ومن ذلك في قوله – تعالى –: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[٢] يقول الزمخشري موضحا القيمة الدلالية لهذا التقديم: "فإن قلت: الغربيب تأكيد للأسود. يقال: أسود غربيب، وأسود حلكوك: وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه، ومنه الغراب. ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك: أصفر فاقع، وأبيض يقق وما أشبه ذلك. قلت: وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرًا لما أضمر كقوله النابغة:

والمؤمن العائذات الطير

وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد، حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي لإظهار والإضمار جميعا".[٣] ويقول ابن عطية: وقوله (وغرابيب سود) لفظان لمعنى واحد ... وقدم الوصف الأبلغ وكان حقه أن يتأخر وكذلك هو في المعنى .... لكن كلام العرب الفصيح يأتي كثيرا على هذا النحو".[٤] وقد علل الزركشي تقديم الصفة على الموصوف بأنه كان لمراعاة اللفظ والمعنى فقال: "والذي يظهر في ذلك أن الموجب لتقديم الغرابيب هو تناسب الكلم وجريانها على نمط متساوي التركيب وذلك انه

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٤٤ .

(٢) سورة فاطر من الآية (٢٧) .

(٣) الكشاف ٣/ ٦١٨، ٦١٩، و إرشاد العقل السليم ٧/ ١٥١ .

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٧ .

لما تقدم البيض والحمر دون إتباع كان الأليق بحسن النسق وترتيب النظام أن يكون السود كذلك ولكنه لما كان في السود هنا زيادة الوصف كان الأليق في المعنى أن يتبع بما يقتضي ذلك وهو الغرابيب فيقابل حظ اللفظ وحظ المعنى فوفى الخطاب وكمل الغرضان جميعا ولم يطرح أحدهما الآخر فيقع النقص من جهة الطرح وذلك بتقديم الغرابيب على السود فوقع في لفظ الغرابيب حظ المعنى في زيادة الوصف وفي ذكر السود مفردا من الإتباع حظ اللفظ إذا جاء مجردا عن صورة البيض والحمر فاتسقت الألفاظ كما ينبغي وتم المعنى كما يجب ولم يخل بواحدة من الوجهين ولم يقتصر على الغرابيب وإن كانت متضمنة لمعنى السود لئلا تتنافر الألفاظ، فإن ضم الغربيب إلى البيض والحمر ولزها في قرن واحد كابن اللبون إذا ما لز في قرن غير مناسب لتلاؤم الألفاظ وتشاكلها، وبذكر السود وقع الالتئام واتسق نسق النظام وجاء اللفظ والمعنى في درجة التمام وهذا لعمر الله من العجائب التي تكل دونها العقول وتعيا بها الألسن لا تدري ما تقول والحمد لله" (١).

و ـ تقديم بعض الصفات على بعض وأثره الدلالي:

اشتملت السورة الكريمة على بعض الصفات المتعاقبة فقدم فيها بعض الصفات على بعض لتحقيق قيمة تعبيرية أو دلالية ما. ومن ذلك ما يلي:

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٤٤٥ .

– قوله – تعالى –: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [1] فالخبير والبصير صفتان للمولى –ﷻ– وقد تكرر ورودهما مردفين على هذا النسق في مواضع كثيرة من القرآن الكريم لما في ذلك من دلالة يقتضيها هذا التعبير. فالخبير معناه: العالم بدقائق الأمور المعقولة والمحسوسة والظاهرة والخفية. ومعنى البصير: العالم بالأمور المبصرة. وعلى هذا فالخبير في معناه أشمل من البصير، وإذا كان كذلك فلم قدم الأشمل أو الأعم على الخاص؟ يقول الشيخ ابن عاشور: "وتقديم الخبير على البصير؛ لأنه أشمل. وذكر البصير عقبه للعناية بالأعمال التي هي من المبصرات وهي غالب شرائع الإسلام".[2] ويقول الإمام أبو السعود: "تقديم الخبير على البصير للتنبيه على أن العمدة هي الأمور الروحانية".[3] كذا قال الألوسي واستشهد عليه بقوله ﷺ "إن الله لا ينظر إلى أعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم".[4]

– ومنه قوله – تعالى –: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾[5] تقسم الآية الكريمة المؤمنين الذين اصطفاهم الله – ﷻ – ليكونوا خير أمة أخرجت للناس إلى ثلاثة أقسام يوم القيامة

---

(١) سورة فاطر من الآية (٣١) .

(٢) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣١٠ .

(٣) إرشاد العقل السليم ٧/ ١٥٢ .

(٤) روح المعاني ٢٢/ ١٩٤ .

(٥) سورة فاطر آية (٣٢) .

وجميعهم في الجنة. فمنهم الظالم لنفسه: وذلك بالتفريط والتهاون في توفية الحق لما يقتضيه حاله من العمل غير متوق للكبائر، وهذا القسم هم أكثر الوارث وهم المرجئون لأمر الله. ومنهم المقتصد: أي المتوسط في العمل غير باذل جميع الجهد إلا أنه مجتنب للكبائر فهو مكفر عنه الصغائر، وهم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا. ومنهم السابق بالخيرات: أي العبادات وجميع أنواع القربات، موف للمقام الذي أقيم به حقه كلما ازداد قربا ازداد عملا، لا يكون سابقا إلا وهو هكذا، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. ويؤيد هذا قول الحسن: السابق من رجحت حسناته، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته، والظالم من رجحت سيئاته.[1]فإن قلت: فهذه أوصاف ثلاثة للمؤمنين يوم القيامة بها ينقسمون إلى ثلاثة أقسام أو درجات. فلم قدم الظالم ثم المقتصد وأخر السابق ولم يبدأ به؟ قلت: إن تقديم ما قدم وتأخير ما أخر كان إما تدرجا من الكثرة إلى القلة، أو لمراعاة سياق الكلام، أو لبيان الغرض المسوق له الكلام بما يحتويه من بشرى وطمأنينة لمن ظلموا أنفسهم ولم يفوا العبادة حقها غير متوقين للكبائر فقد سبقت رحمته – ﷻ – غضبه. قال الزمخشري: "فإن قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق؟ قلت: للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقون أقل من القليل"[2] كذا قال السيوطي وذكر

(١) نظم الدرر ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٢) الكشاف ٣/ ٦٢٣ .

لذلك نماذج عدة.[١] أي: إن الترتيب كان بالتدريج من الكثرة إلى القلة وذلك نحو قوله – تعالى –: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢] فبدأ بالكفار؛ لأنهم أكثر قال تعالى:﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٣] وقيل: قدم الظالم نفسه لدفع توهم حرمانه من الجنة وتعجيلًا لمسرته. وختم بالسابقين لأنهم الخلاصة، وليكونوا أقرب إلى الجنات . وهو قوله – تعالى – بعده: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾...[٤] .كما قدم الصوامع على المساجد في سورة الحج . وهو قوله: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [٥] لتكون – أي الصوامع – أقرب إلى الهدم، وأخر المساجد لتقارب الذكر ..."."[٦] وهذا هو الأولى عندي من سابقه؛ لأن التعبير القرآني ليست له سنة مطردة في التقديم والتأخير و إن أحصاها بعضهم في عشر سنن كما فعل السيوطي في الإتقان.[٧] وإنما هي

---

(١) الإتقان ٣/ ٣٨ – ٣٩ .

(٢) سورة التغابن الآية (٢) .

(٣) سورة يوسف (١٠٣) وانظر: التعبير القرآني ص ٥٨ .

(٤) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣١٢ .

(٥) سورة الحج من الآية (٤٠) .

(٦) نظم الدرر ص ٢٢٦ .

(٧) الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٣٣ – ٤٠ .

سنن غالبة والدليل على ذلك أن القرآن الكريم عند توالى أو تعدد الصفات لموصوف واحد على سبيل التنويع أو التقسيم تارة يكون فيه الترقي من الأدنى إلى الأعلى، وتارة ثانية يكون فيه التدني من الأعلى إلى الأدنى، وتارة يقدم الأكثر على الأقل، وتارة يقدم الأقل على الأكثر كما في قوله – تعالى –: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[1] فكل طائفة هي أقل من التي بعدها فتدرج من القلة إلى الكثرة. والتدرج من الكثرة إلى القلة أو العكس ليس قصدا في ذاته، بل لما يقتضيه المقام أو السياق من اقتران أولى الصفات أو آخرها بكلمات تحدد الألصق من الصفات بها. فالطائفون وإن كانوا أقل مما بعدهم إلا أنهم ألصق المذكورين بالبيت؛ لأنهم يطوفون حوله بخلاف العاكفين والركع والسجود فإنهم يكونون في أي بيت من بيوت الله في كل الأرض[2]. لذا ناسب هنا – أي في فاطر – تأخير السابقين لما جاء بعد هذا اللفظ بما يبشرهم به وهو قوله: (جنات عدن يدخلونها) هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية يتقدم في السياق طبقا للبشرى التي بشرت بها الآية الكريمة من هو في أمس الحاجة لرفع خوفه وقلقه. وعلى هذا يكون تقديم ما قدم وتأخير ما أخر إنما هو لمناسبة سياق الكلام، أو مراعاة ما يقتضيه المقام والله أعلم.

٣ ـ الحذف وأثره الدلالي:

تجعل اللغة للجملة العربية أنماطًا تركيبية معينة، ففي الجملة أركانها

---

(١) سورة البقرة من الآية (١٢٥) .

(٢) التعبير القرآني صـ ٥٨ بتصرف .

ومكملاتها، وفي عناصرها ما يفتقر إلى غيره، وما لا يستغنى المعنى عن تقديره، فإذا لم تشتمل الجملة على أحد أركانها، أو ما يقتضيه المعنى أو يقتضيه التركيب من مكملاتها وعناصرها الأخرى، ثم اتضح المعنى بدون ذكر هذه العناصر لوجود الدليل على المحذوف عددنا ذلك حذفا جيء به لطلب الخفة اختصارًا أو اقتصارًا أو تجنبًا للحشو أو لسبب آخر غير ذلك. وكل من عناصر الجملة صالح لأن يحذف إذا قام الدليل عليه فأمكن تقديره في الكلام.(١)

ويشترط في الحذف ألا يؤدي إلى غموض أو خلل في المعنى. وتنبع أهميته من أنه يثير الانتباه، ويلفت النظر، ويبعث على التفكير فيما حذف، فتحدث عملية إشراك للمتلقي في الرسالة الموجهة إليه(٢). وقد جعله ابن جني – (رحمه الله) – ضربًا من شجاعة العربية.(٣)

وبتأمل هذه الظاهرة في سورة فاطر نجد أنه قد حذف فيها لفظ أو أكثر حسبما يقتضيه السياق، وكان لهذا الحذف قيمته في التركيب والتي تبدو أكثر من الذكر لما فيه من الإثارة وتوجيه الذهن، وبيان قيمة دلالية في التراكيب لا تتضح ولا تبين من ذكره. وقد تعددت صور الحذف في السورة الكريمة بتعدد سياقاتها إلا أن لبعضها فقط قيمة دلالية وهو ما يعنينا هنا وتوضيحه على النحو التالي:

---

(١) البيان في روائع القرآن ٢/ ١٠٩ .

(٢) الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية) ص١٤٠ بتصرف .

(٣) الخصائص ٢/ ٣٦٢.

أ ـ حذف الفاعل وأثره الدلالي:

حذف الفاعل في السورة الكريمة في أكثر من موضع وذلك بعد بناء الفعل الرافع له للمجهول وإنابة غيره منابه، وكان حذفه فيها لتحقيق قيمة دلالية معينة يقتضيها السياق كحذف الفاعل للعلم به ودلالة ما قبله عليه كما في قوله – تعالى –: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾[1] إذ لا ترجع الأمور إلا إليه وحده، فلا ترجع إلى غيره. وهذا معلوم من السياق والمقام. ومنه قوله – تعالى –: ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾[2] فالمعلوم أن الفاعلين المباشرين لفعل التحلية هم الخدم من الولدان والغلمان، فلما كان الفاعل معلومًا للمتلقي حذفه، لعدم تعلق الغرض بذكره، فالاهتمام حينئذ متسلط على المفعول أو ما يقع عليه الفعل وهو قوله (من أساور من ذهب ولؤلؤا) ففي بناء الفعل للمفعول إشعار لأهل الجنة بأنهم يكرمون بذلك ولا يتعاطون ذلك بأنفسهم. يقول أبوحيان: "وقدمت التحلية على اللباس؛ لأن الحلي في النفس أعظم وإلى القلب أحب، وفي القيمة أغلى، وفي العين أحلى، وبناء فعله للمفعول الذي لم يسم فاعله إشعار بأنهم يكرمون بذلك ولا يتعاطون ذلك بأنفسهم كما قال الشاعر:

غرائر في كن وصون ونعمة تحلين ياقوتًا وشذرًا مفقرا

(١) سورة فاطر من الآية (٤) .

(٢) سورة فاطر من الآية (٣٣) .

وأسند اللباس إليهم؛ لأن الإنسان يتعاطى ذلك بنفسه خصوصًا لو كان بادي العورة[1]. ففي هذا الحذف دليل على قوة العناية بالمفعول به، إذ في بناء الفعل للمجهول والاستغناء عن ذكر الفاعل فيه تركيز الاهتمام على الحدث بصرف النظر عن محدثه وهو ما وضحه ابن جني في قوله عند حديثه عن قراءة يزيد البربري: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[2] بضم العين وكسر اللام المشددة من (علم) ورفع (آدم) نيابة عن الفاعل قال:" إن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة وبعد الفاعل، ك ضرب زيد عمرًا، فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا: ضرب عمرًا زيدٌ. فإن ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصبه فقالوا: عمرًا ضرب زيدٌ. فإن تظاهرت العناية به عقدوه على أنه رب الجملة، وتجاوزا حد كونه فضلة فقالوا: عمرو ضربه زيد، فجاءوا به مجيئا ينافي كونه فضلة، ثم زادوه على هذه الرتبة فقالوا: عمرو ضرب زيد، فحذفوا ضميره ونووه ولم ينصبوه على ظاهر أمره، رغبة به عن صورة الفضلة وتحاميا لنصبه الدال على كون غيره صاحب الجملة، ثم إنه لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاروا الفعل له ، وبنوه على أنه مخصوص به، وألغوا ذكر الفاعل مظهرا أو مضمرا فقالوا: ضُرِبَ عمرو، فاطرح ذكر الفاعل البتة، وأسندوا بعض الأفعال إلى المفعول دون الفاعل البتة وهو قوله: أولعت بالشيء، ولا يقولون: أولعنى به كذا.

---

(١) البحر المحيط ٦/ ١١٧.

(٢) سورة البقرة من الآية (٣١)

وقالوا: ثلج سؤال الرجل، ولم يقولوا: ثلجه كذا ..... وهذا كله يدل على شدة عنايتهم بالفضلة. وإنما كانت كذلك؛ لأنها تجلو الجملة، وتجعلها تابعة المعنى لها ..... "[1]. وقال: "فإذا ثبت بهذا كله قوة عنايتهم بالفضلة حتى ألغوا ذكر الفاعل معها، وبنوا الفعل لمفعوله فقالوا: ضُرِبَ زيدٌ. حَسُنَ قوله – تعالى –: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ لما كان الغرض فيه أنه قد عرفها وعلمها، وآنس أيضا علم المخاطبين بأن الله سبحانه هو الذي علمه إياه بقراءة من قرأ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾..... وكذلك قولهم: ضرب زيد، إنما الغرض منه أن يعلم أنه منضرب، وليس الغرض أن يعلم من الذي ضربه. فإن أريد ذلك ولم يدل دليل عليه فلا بد أن يذكر الفاعل فيقال: ضرب فلان زيدًا، فإن لم يفعل ذلك كَلَّف علم الغيب".[2] وبالنظر في الآية الكريمة التي نحن بصددها نجد أن الاهتمام – هنا – كان بالمفعول حيث علم الفاعل للجميع.

– حذف الفاعل لعدم تعيينه. كما في قوله – تعالى –: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[3] فحذف الفاعل هنا في (تؤفكون)؛ لأن آفكهم أصناف كثيرون.[4] كذا قوله: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ

(١) المحتسب : ٦٥/١

(٢) السابق : ٦٦/١

(٣) سورة فاطر من الآية (٣) .

(٤) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٥٦ .

تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾[1] فبنى الفعل للمجهول، وهو الأليق بالسياق إذ هو سياق تسلية للنبي – ﷺ – والتسلية محطها وقوع التكذيب لا تعيين المكذب[2].

– حذف الفاعل لعدم الاهتمام به. كما في قوله – تعالى –: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾[3] يقول البقاعي: "لما كان الضار هو التزيين من غير نظر إلى فاعل معين بني للمفعول قوله (زين له سوء عمله) أي قبحه الذي من شأنه أن يسوء صاحبه حالا أو مآلا ...".[4] فعدم الاهتمام بالفاعل لكونه معلوما وهو الشيطان.

ب ـ حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه وأثره الدلالي:

بين الصفة وموصوفها في معهود التعبير ارتباط من حيث الدلالة والذكر قل أن ينفك فيستغني بأحدهما عن الآخر، وهذا أمر على قلته لا تأباه فصاحة الكلام، وبخاصة إذا كان في السياق والمقام ما يرشحه كأن تقوم الصفة لشهرتها واختصاصها بالموصوف مقامه، وهذا الحذف وإن كان في غالب الأحيان ضربًا من فنون القول إلا أنه في بعض الأحيان يؤدي وظيفة دلالية في السياق قد تخفي عند ذكره وهو ما يعنينا هنا. وذلك كما في قوله – تعالى –: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ

(١) سورة فاطر الآية (٤) .
(٢) نظم الدرر ص ٢٠٣ .
(٣) سورة فاطر من الآية (٨) .
(٤) نظم الدرر ص ٢٠٥ .

وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[1] أي: المكرات السيئات أو أصناف المكرات السيئات، على أن (السيئات) صفة لمحذوف وليس مفعولا به ليمكرون؛ لأن مكر لازم ... (فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه) . مبالغة للوعيد الشديد على قصد المكر، أو هو إشارة إلى عدم تأثير مكرهم ..."[2] ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[3] فالوازرة صفة للنفس، والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها الذي اقترفته، لا تؤخذ نفس بذنب نفس، كما تأخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار. فإن قلت: هلا قيل: ولا تزر نفس وزر أخرى؟ ولم قيل وازرة؟ قلت: لأن المعنى أن النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها، لا وزر غيرها"[4] ويقول الرازي: "لم يقل: ولا تزر نفس وزر أخرى، ولا جمع بين الموصوف والصفة فلم يقل: ولا تزر نفس وازرة وزر أخرى لفائدة: أما الأول: فلأنه لو قال: ولا تزر نفس وزر أخرى، لما علم أن كل نفس وازرة مهمومة بهم وزرها متحيرة في أمرها. ووجه آخر: وهو أن قول القائل: ولا تزر نفس وزر أخرى قد يجتمع معها ألا تزر وزرا أصلا كالمعصوم لا يزر وزر غيره ومع ذلك لا يزر وزرا رأسًا، فقوله: (ولا تزر وازرة) بين أنها تزر وزرها ولا تزر وزر الغير وأما ترك ذكر الموصوف فلظهور

---

(١) سورة فاطر من الآية (١٠) .

(٢) روح المعاني ٢٢/ ١٧٦ .

(٣) سورة فاطر من الآية (١٨) .

(٤) الكشاف ٣/ ٦١٦ .

الصفة ولزومها للموصوف".[١] ألا ترى كيف كان حذف الموصوف في التركيب مفيدا معنى، قد يؤدي إلى غيره إذا ذكر.

٤ ـ إضافة الموصوف إلى صفته وأثره الدلالي:

يضاف الشيء إلى صفته أو إلى نوعه ليضفي على المعنى نوعًا من التعيين أو التبيين كما في قوله – تعالى –: ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ﴾[٢] فأضيف المكر إلى صفته لتعيين هذا المكر أو كما قال الرازي: "لكون السوء فيه أبين الأمور".[٣] وقيل: إضافة الموصوف إلى الوصف لإظهار ملازمة الوصف للموصوف.[٤]

المطلب الثالث: دلالة الأساليب في السورة:

الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه. أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه.[٥] أو هو: "الملمح التعبيري البارز الذي يؤدى وظيفة دلالية تفوق مجرد دوره اللغوي".[٦] وعلى هذا فأسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه[٧].

---

(١) التفسير الكبير ٢٦/ ١٤ .

(٢) سورة فاطر من الآية (٤٣) .

(٣) التفسير الكبير ٢٦/ ٣١ .

(٤) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣٣٤ .

(٥) مناهل العرفان ٢/ ٢١٨.

(٦) ظواهر أسلوبية في شعر شوقي ـ صلاح فضل ـ مجلة فصول ، مجلد ١ عدد٤ صـ٢١٠

(٧) مناهل العرفان ٢/ ٢١٨

وهو ما سنوضحه هنا من خلال سورة فاطر لنكشف عن بعض طرق القرآن للوصول إلى المعنى، وكيف كان لهذا الأسلوب أثره في تحديد دلالة السياق. وهنا ينبغي أن نلفت النظر إلى أن الأسلوب غير المفردات والتراكيب التي يتألف منها الكلام، لذا آثرنا أن نقسم دلالة السياق إلى ثلاثة أقسام هي: دلالة اللفظ أو المفردات، ودلالة التراكيب، ودلالة الأساليب؛ وذلك لأن الأساليب هي الطرق التي ينتهجها المتكلم في اختيار مفرداته وتراكيبه؛ لذا فهي مختلفة باختلاف المتكلمين مع أن المفردات التي يستخدمها الجميع واحدة، والتراكيب في جملتها واحدة، وقواعد صوغ المفردات وتكوين الجمل واحدة، لهذا كان القرآن الكريم معجزًا بأسلوبه الفذ ومذهبه الكلامي المعجز، وإن كان لم يخرج عن معهود العرب في لغتهم العربية من حيث ذوات المفردات والجمل وقوانينها العامة.(١)

فالدراسة الدلالية للنصوص ترمي إلى كشف أسرارها وأبعادها الدلالية، ومدى قدرتها على التعبير البليغ، وتقوم هذه الدراسة – في أكثرها – على مبدأ الانحراف عن أصل الوضع اللغوي باعتبار القرائن، إذ تمثل خروجًا على الجملة الأصولية في النحو العربي نحو بنيات لغوية متعددة تخالف في الأغلب الوضع الأصلي للتراكيب، ولا أدل على قيمة هذه الدراسة وأهميتها من قول هاف كرام: "اللغة هي ثوب الفكرة،

(١) السابق نفسه

والأسلوب هو فصال الثوب وطرازه الخاص".[١]

وبالنظر في الأساليب القرآنية ندرك أن منها ما هو لمراعاة الجمال اللغوي فحسب، ومنها ما هو لاقترانه بالسياق لأداء وظيفة دلالية لا يؤديها غير الأسلوب المعين بالإضافة إلى مراعاة الجمال اللغوي- وهو ما يعنينا هنا- يقول الخطابي: "اعلم أن القرآن إنما صار معجزًا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنًا أحسن المعاني من توحيد له – عزت قدرته – وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته ...".[٢]

وبالنظر في السورة الكريمة نجد أنها قد اشتملت على أساليب عدة ومتنوعة ذات أثر دلالي في السياق. وتوضيحها على النحو التالي:

أ ـ تباين الأسلوب في السياق وأثره الدلالي:

للغة أوضاعها وموجباتها على ما جرى به العرف العربي، ولها كذلك بلاغتها في مخالفة هذه الأوضاع والخروج عنها للفت الانتباه إلى غرض يكمن في هذه المخالفة وترك الأنماط المعتادة في كلامهم. وهذا الخروج هو كذلك إلف عربي في بيان الفصحاء، ومهيج يسلكه العارفون بطرائق لغتهم ومناحي التصرف فيها. يقول ابن الأثير: " واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارها وفتش عن دفائنها ولا تجد

(١) الأسلوب والأسلوبية – هاف كرام صـ ٢٠

(٢) بيان إعجاز القرآن ص ٢٣ .

ذلك في كل كلام فإنه من أشكل ضروب علم البيان وأدقها فهما وأغمضها طريقًا".[1] وقد ذكرت – سابقا – أن السياق مؤثر عرضي – أحيانا – في توجيه دلالة بعض الأسماء. وكذلك بعض الأفعال، إذ يقلبها إلى عكس ما قد وضعت له في أصل اللغة مما يدل على أن هناك خصوصية دلالية تحملها صيغ بعض الأفعال في السياق، وهذه الخصوصية قد تختلف على حسب صيغة الفعل وكذا الاسم.

وبالنظر في السورة الكريمة نجد عدم اطراد الأسلوب في السياق أو الآية الواحدة إذ هو يتباين تباينا ملحوظا لإفادة معنى معينا يقصده المولى ﷻ حتى يتمكن في نفس السامع ويلفت انتباهه إليه. وقد تباين الأسلوب الحكيم في السورة الكريمة في صور عدة أهمها ما يلي:

١ . التعبير بالمضارع في سياق الماضي وأثره الدلالي:

ومنه قوله – تعالى –: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ فإن قلت: لم جاء (فتثير) على المضارعة دون ما قبله وما بعده؟ قلت كما قال البقاعي: "لما كان المراد الإيجاد من العدم، عبر بالماضي مسندا إليه؛ لأنه الفاعل الحقيقي فقال (أرسل الرياح) أي أوجدها من العدم مضطربة فيها أهلية الاضطراب والسير ليصرفها كيف شاء لا ثابتة كالأرض، وأسكنها ما بين الخافقين لصلاح مكان الأرض، ولما كانت إثارتها تتجدد كلما أراد أن يسقي أرضا

(١) المثل السائر ٢/ ١٢ .

قال مسندا إلى الرياح؛ لأنها السبب معبرًا بالمضارع حكاية للحال لتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على تمام القدرة، وهكذا تفعل العرب فيما فيه غرابة تنبيها للسامع على ذلك وحثا له على تدبره وتصوره".[١] أو أن التعبير بالمضارع (فتثير) كان للدلالة على استمرار الإثارة.[٢]

والحق أن دلالة استحضار الحالة ناتجة عن دلالة الاستمرار أو التكرار التي كفلت حيزا زمنيا يسمح باستحضار الصورة. فدلالة الاستمرار :هي إحدى كنايات دلالة التجدد، إذ يحمل على التجدد دلالات أخرى محمولة عليها :هي التكرار والاستمرار، يقول الألوسي: " وجوز شيء آخر أن يكون الإتيان بما يدل على الماضي ثم بما يدل على المستقبل إشارة إلى استمرار الأمر وأنه لا يختص بزمان دون زمان إذ لا يصح المضي والاستقبال في شيء واحد إلا إذا قصد ذلك ..وقال الإمام: اختلاف الفعلين؛ لأنه لما أسند فعل الإرسال إلى الله – ﷻ– وما يفعل يكون بقوله – ﷻ – (كن) فلا يبقى في العدم زمانا ولا جزأ زمان جيء بلفظ الماضي دون المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة كونه كأنه كان، ولأنه . تعالى . فرغ من كل شيء فهو – ﷻ – قدر الإرسال في الأوقات المعلومة وإلى المواضع المعينة والتقدير كالإرسال، ولما أسند فعل الإثارة إلى الرياح

(١) نظم الدرر ص ٢٠٧ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٧/ ١٤٥ .

وهي تؤلف في زمان قال – ﷻ –: (تثير) بلفظ المستقبل".[1] وقال الزمخشري: "فإن قلت: لم جاء (فتثير) على المضارعة دون ما قبله، وما بعده؟ قلت: ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب، أو تهم المخاطب، أو غير ذلك ...".[2] كذا قال آخرون:[3] ويقول د/ أبو موسى موضحًا القيمة التعبيرية للمضارع في الآية الكريمة على خلاف ما كان يقتضيه الأسلوب في العرف اللغوي العام: "صيغة المضارع أقدر الصيغ على تصوير الأحداث؛ لأنها تحضر مشهد حدوثها وكأن العين تراها وهي تقع، ولهذا الفعل مواقع جاذبة في كثير من الأساليب حتى يقصد به إلى ذلك، وترى المتكلمين من ذوى الخبرة بأسرار الكلمات يعبرون به عن الأحداث الهامة التي يريدون إبرازها وتقريرها في خيال السامع ...".[4]

أما مجيء الفعل (أرسل) قبله في صورة الماضي فهو أنه لما كان القصد من الاستدلال هو وقوع الإحياء وتقرر وقوعه جيء بفعل المضي في قوله (أرسل) ... ولم يؤت بفعل الإرسال في هذه الآية بصيغة المضارع بخلاف

---

(١) روح المعاني ٢٢/ ١٧١ .

(٢) الكشاف ٣/ ٦١٠ .

(٣) البحر المحيط ٧/ ٢٨٩، وإرشاد العقل السليم ٧/ ١٤٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٤/ ٣٢٧ .

(٤) خصائص التراكيب ص ٢٦٤ .

قوله في سورة الروم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾[1] لأن القصد هنا الاستدلال بما هو واقع إظهارًا لإمكان نظيره، وأما آية سورة الروم فالمقصود منها الاستدلال على تجديد صنع الله ونعمه.[2] يقول أحد الباحثين المحدثين معللا تباين الأسلوب في فعل إرسال الرياح بين سورتي فاطر والروم وغيرهما: "وردت صيغة (أرسل) فعلا ماضيا لسببين: الأول . ورود (أحداث) في السياق ماضية، والثاني ورود (أفعال) في السياق ماضية. فمن الأحداث الماضية في السورة تكذيب الرسل السابقين من قبل قومهم، وإتباعهم طريق الشيطان الذي زين لهم القبيح حسنا. ومن الأفعال الماضية فيها: (سقناه، أحيينا به). أما ورود صيغة (يرسل) فعلا مضارعا مع الرياح في الروم وغيرها فلسببين كذلك. الأول: ورود أحداث في السياق للحاضر أو المستقبل. والثاني: ورود أفعال كثيرة في السياق للحاضر أو المستقبل ... إذًا الأفعال المحيطة بالفعل المدروس والأحداث المحيطة به كذلك هي التي تقرر صيغته أماضية هي أم مضارعة، وليس مجموع الأفعال ومجموع الأحداث في السورة كلها؛ لأن الجوار في اللغة والحياة له أثر لا ينكر".[3]

وهذا التعليل وإن كان مقنعًا في الفعل (أرسل) إلا أنه عندي غير

---

(١) سورة الروم من الآية (٤٨) .

(٢) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٦٨ .

(٣) سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن ص ٧١ . ٧٤ بتصرف .

مقنع في الفعل (فتثير) إذ إن ما يحيط به من الأفعال والأحداث إنما هو في سياق الماضي؛ لذا كان قول السابقين من أنه كان لتجدد إثارة تلك الرياح أدق، بل إن في سياق الآية ما يدلل على بلاغة التعبير بالمضارع ودقته يقول البقاعي: "ولما كان المراد الاستدلال على القدرة على البعث، وكان التعبير بالمضارع يرد التعنت عبر بالمضارع".(١) أما إيراد الفعلين بعده بصيغة الماضي (فسقناه، فأحيينا به) فللدلالة على التحقيق.(٢)

– ومنه في السورة نفسها قوله – تعالى –: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾(٣) فعبر بالمضارع (يتلون) مع الأفعال الماضية (أقاموا الصلاة، وأنفقوا مما رزقناهم)؛ لأن الفعل المضارع يشعر بتجدد تلاوتهم فإن نزول القرآن متجدد فكلما نزل منه مقدار تلقوه وتدارسوه ... وجيء في جانب إقامة الصلاة والإنفاق بفعل المضي؛ لأن فرض الصلاة والصدقة قد تقرر وعملوا به فلا تجدد فيه، وامتثال الذي كلفوا به يقتضي أنهم مداومون عليه.(٤) يقول الإمام البقاعي: "عبر في الأول بالمضارع؛ لأن إنزالها – (أي الآية الكريمة) – قبل التمام – (أي قبل تمام نزول القرآن الكريم) – وتصريحًا بتكرار التلاوة تعبدا ودراسة؛ لأن القرآن كما قال النبي – ﷺ –:

---

(١) نظم الدرر ص ٢٠٧.

(٢) روح المعاني ٢٢/ ١٧٢.

(٣) سورة فاطر الآية (٢٩).

(٤) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣٠٦.

" أشد تفلتا من الإبل في عقلها".[١] وفي الثاني والثالث بالماضي حثًّا على المبادرة إلى الفعل، فهم يجددون التلاوة كل وقت مستمرين على ذلك محافظين عليه كلما نزل من القرآن شيء وبعد كمال نزوله حتى يكون ذلك ديدنهم وشأنهم بفهم وبغير فهم".[٢] فصيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه .... وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفًا ظاهرًا مما لا سبيل إليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الإسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب.[٣] ومعنى هذا أن إيثار التعبير بالمضارع في (يتلون) قد دل على استمرار وتجدد تلاوتهم لكتاب الله تعالى كلما نزل منه شيء وبعد كمال نزوله فهي – (أي التلاوة) – ملازمة لهم في حياتهم لما في كتاب الله من الخير العظيم، أما إقامة الصلاة والإنفاق أو الإحسان إلى الخلق فقد عبر عنهما بالفعل الماضي للدلالة على ثبات الأمرين المقررين سلفا، حتى صارا صفتين لهم ونحيزتين فيهم.

– ومن ذلك التعبير بالمضارع مع جملة الشرط وبالماضي مع جملة الجواب في ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾[٤] في مقام التسلية لرسول الله – ﷺ – للدلالة على تجديد تكذيبهم له، وتحقق

(١) صحيح مسلم ١/ ٥٤٥ حديث رقم ٧٩١.

(٢) نظم الدرر ص ٢٢٣.

(٣) إرشاد العقل السليم ٧/ ١٥٢.

(٤) سورة فاطر الآية (٤).

وقوع تكذيب من قبلهم مع رسلهم فتلك سنة القوم منذ خلق الله القوم.[١]

٢ . التعبير بالماضي عن المستقبل وأثره الدلالي:

قد يعبر بصيغة الماضي في سياق الحال أو الاستقبال عدولا بالكلام عن سننه الظاهرة كما في قوله – تعالى –: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾[٢] فقال (أورثنا) ولم يقل: نورث. فعبر عن المستقبل بلفظ الماضي لتقرره وتحققه. أي: الدلالة على تحقق وقوعه.[٣]

– ومنه قوله – تعالى –: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴾[٤] فعبر بالماضي (وقالوا) عن المستقبل؛ لأنهم يقولون هذا القول في جنات عدن لتحقيق الوقوع.[٥] وإن كان المراد بيان حالهم حين يدخلون الجنة. فالأفعال الماضية في الآيتين وهي (قالوا، أذهب، أحلنا) تدل على زمن الخطاب في الآخرة بعد دخول المؤمنين الجنة، وهو بالنسبة لأهل الجنة ماض؛ لأنهم يتحدثون عن اللحظات التي تسبق زمن الإخبار. والقرآن الكريم يعرض كثيرًا من مشاهد الآخرة في صور الماضي وكأنها أحداث قد وقعت؛ وذلك ليؤكد كينونتها، وأن زمن الدنيا في

---

(١) تفسير سورة فاطر ص ٢٨ .

(٢) سورة فاطر من الآية (٣٢) .

(٣) إرشاد العقل السليم ٧/ ١٥٢ .

(٤) سورة فاطر الآية (٣٤) .

(٥) إرشاد العقل السليم ٧/ ١٥٣ ، وروح المعاني ٢٢/ ٩٩ .

حساب الحق كأنه زمن قد انتهى ليواجه بهذا الأسلوب الحاسم دواعي الانصراف عن أمر القيامة. ولهذا الأسلوب نظائر كثيرة فيه.(١)

واستعمال الفعل في الدلالة على زمن غير الزمن الذي وضع له مرتبط بالقرينة الظاهرة، إذ هي أهم ما يعول عليه في هذا الاستعمال. فاستعمال المضارع في الماضي هو نوع من تشبيه الماضي بالمضارع وتقريبه منه؛ لأن دلالة استحضار الحالة من دلالات المضارع – كما سبق – حيث يعبر بالمضارع عن الماضي لتتمكن دلالة استحضار الحالة التي وقعت في الزمن الماضي لجلالتها. وكذلك استعمال الماضي في الدلالة على المستقبل لكي يحمل التعبير في طياته الدلالة التي يدل عليها الماضي وهي تحقق الوقوع، فيعلم من ذلك التنبيه على تحقيق الخبر كله، وأنه واقع لا محالة. فماضوية الفعل – إذن – دلالة على ثباته وحصوله أو تحقق وقوعه وإن لم يقع بعد، ودلالته على المستقبل تعني تجدد حدوثه حسب زمن الخطاب، لا على حسب زمن نطقه فحسب. ومن هنا يتبين لنا أن لدلالة الفعل آثارها الواضحة في الكشف عن مضمون الكلام وما يذخر به من المعاني ودرر الكلام وذلك من خلال السياق القرآني الذي يرد فيه، وعن أسرار النص القرآني وتوضيح مراميه أو مقاصده وغاياته. وقل أن تجد نصا يحوي من أسرار هذه الأساليب البليغة البديعة ما يحويه، فهو كلام الله العزيز الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

---

(١) ينظر: خصائص التراكيب ص ٢٦٥: ٢٦٩ .

٣ ـ عطف الماضي على المضارع وأثره الدلالي:

الأولى في باب العطف أن يتفق المعطوف والمعطوف عليه إفرادًا وتثنية وجمعًا، وتعريفًا وتنكيرًا، وكذا زمانًا وذلك حين تعطف جملة فعلية على جملة فعلية أخرى. إلا أنه بتأمل السورة الكريمة التي نحن بصددها وجدنا أن الماضي قد عطف على المضارع وهما مختلفان من حيث الزمن كما سبق. وذلك في سياق حديثه – ﷻ – عن دلائل قدرته ووحدانيته، وذلك في المقطع الثالث من السورة الكريمة وفيه يتحدث المولى – ﷻ – عما يستوجب شكره والإيمان بوحدانيته من خلقه للبحرين العذب والملح وما فيهما من الكنوز، وعن تعاقب الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر وغير ذلك من المشاهد المعروضة للبصائر والأبصار. إلا أننا نجد تباينًا في أسلوب الذكر الحكيم في هذا السياق. وهذا التباين إن دل فإنما يدل على بديع صنعه وما أودعه في المجال الكوني من سمات أو صفات يتسم بها كل جرم فيه. قال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾[1] فعبر بالمضارع (يولج) مع الليل والنهار، وبالماضي (سخر) مع الشمس والقمر، وعطفه على المضارع قبله. يقول الشيخ أبو السعود مبينًا سر هذا التخالف في العطف بين المعطوف والمعطوف عليه من حيث الزمن ومدى اتساقه مع السياق وبديع علمه – ﷻ – في وضع الكلمات في موضعها بحيث

(١) سورة فاطر من الآية (١٣) .

تشعر بسرها ودقة تعبيرها واتفاقها مع ما توصل إليه العلم الحديث من حقائق العلوم الكونية: " (وسخر الشمس والقمر) عطف على يولج، واختلافهما صيغة؛ لما أن إيلاج أحد الملوين في الآخر متجدد حينًا فحينًا، وأما تسخير النيرين فأمر لا تعدد فيه، وإنما المتعدد والمتجدد آثاره وقد أشير إليه بقوله – تعالى – (كل يجري) أي: بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد أيام السنة جريانا مستمرًا لأجل مسمى قدره الله تعالى لجرياتهما وهو يوم القيامة كما روى عن الحسن (رحمه الله)[1] كذا قال الألوسي.[2]

٤ – التعبير باسم الفاعل تارة وبصيغة المبالغة تارة ثانية في الصيغ المشتقة من أصل واحد في سياق الآية الواحدة:

وذلك كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[3] يقول الشيخ ابن عاشور: "جيء في الإخبار بعلم الله بالغيب بصيغة اسم الفاعل، وفي الإخبار بعلمه بذات الصدور بصيغة المبالغة؛ لأن المقصود من إخبار المخاطبين تنبيههم على أنه كناية عن انتفاء أن يفوت علمه تعالى شيء. وذلك كناية عن الجزاء فهي كناية رمزية".[4] وقيل عبر بصيغة المبالغة (عليم) مع ذات الصدور؛ لأن هذه

---

(١) إرشاد العقل السليم ٧/ ١٤٧، ١٤٨ .

(٢) روح المعاني ٢٢/ ١٨١ .

(٣) سورة فاطر آية (٣٨) .

(٤) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣٢١ ، ٣٢٢ .

الجملة كالتعليل لقوله (عالم غيب السموات والأرض)؛ لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم غيب ما في العالم.[١]

٥ ـ تباين الأسلوب بين الجمع والإفراد وأثره الدلالي:

ومنه قوله – تعالى –: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ فجمع الظلمات وأفرد النور. يقول أبو حيان: "أفرد الأعمى والبصير؛ لأنه قابل الجنس بالجنس، إذ قد يوجد في أفراد العميان ما يساوي به بعض أفراد البصراء، كأعمى عنده من الذكاء ما يساوي به البصير البليد. فالتفاوت بين الجنسين مقطوع به لا بين الأفراد، وجمع الظلمات؛ لأن طرق الكفر متعددة، وأفرد النور؛ لأن التوحيد والحق واحد، والتفاوت بين كل فرد من تلك الأفراد وهذا الواحد فقال: الظلمات لا تجد فيها ما يساوي هذا النور".[٢] وقال أبو السعود: "جمع الظلمات وأفرد النور؛ لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق".[٣] وقيل: لأن الظلمة قد تتعدد فتكون في مجال قد تخلل بينهما نور، والنور في هذا العالم وإن تعدد إلا أنه يتحد وراء محل تعدده.[٤]

٦ . تباين الأسلوب في العطف على الصفات المتضادة بالتقديم والتأخير وأثره الدلالي:

---

(١) الكشاف ٣/ ٦٢٥ .

(٢) التفسير الكبير ٢٦/ ١٦، والبحر المحيط ٧/ ٢٩٥ .

(٣) إرشاد العقل السليم ٧/ ١٤٩ .

(٤) روح المعاني ٢٢/ ١٨٧ .

ومنه قوله – تعالى –: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ يلاحظ في هذه الآيات تقابلا وعطفًا بين الصفات المتضادة، كما يلاحظ عدم اتفاق الأسلوب في عرض هذه الصفات التي ذكرت لبيان الفرق بين المؤمن والكافر فقدم أولًا الأعمى على البصير، والظلمات على النور. ثم قدم ثانيًا الظل على الحرور، والأحياء على الأموات. وكان النظم يقضي بتقديم الحرور على الظل والأموات على الأحياء لتتسق ألوان الصورة البديعة كلها فيكون الأسود المعتم (الأعمى والظلمات والحرور والأموات) في جانب، والأبيض المشرق (البصير والنور والظل والأحياء) في جانب آخر. مما يدل على أن تباين الأسلوب هنا قصد لتحقيق لمحة دلالية ومعنى قصد في ذاته لا يبين ولا يتضح مع جريان الأسلوب على نسق واحد. يقول الإمام الرازي موضحا سر هذا التغاير في الأسلوب في الآية : "قدم الأشرف في مثلين وهو الظل والحرور – (ولعله خطأ في النسخ إذ مقام السياق يقتضي الظل والأحياء) – وأخره في مثلين وهو البصر والنور، وفي مثل هذا يقول المفسرون: إنه لتواخي أواخر الآي، وهو ضعيف؛ لأن تواخي الأواخر راجع إلى السجع، ومعجزة القرآن في المعنى لا في مجرد اللفظ، فالشاعر يقدم ويؤخر للسجع فيكون اللفظ حاملا له على تغيير المعنى، وأما القرآن فحكمة بالغة والمعنى فيه صحيح واللفظ فصيح، فلا يقدم ولا يؤخر اللفظ بلا معنى، فنقول: الكفار قبل النبي – ﷺ – كانوا في ضلالة فكانوا كالعمي وطريقهم كالظلمة، ثم لما جاء النبي – ﷺ –

وبين الحق واهتدى به منهم قوم فصاروا بصيرين وطريقتهم كالنور فقال: وما يستوي من كان قبل البعث على الكفر ومن اهتدى بعده إلى الإيمان، فلما كان الكفر قبل الإيمان في زمان محمد – ﷺ – والكافر قبل المؤمن قدم المقدم، ثم لما ذكر المآل والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب لقوله في الإلهيات: (سبقت رحمتي غضبي)، ثم إن الكافر المصر بعد البعثة صار أضل من الأعمى وشابهه في عدم إدراك الحق من جميع الوجوه فقال: (وما يستوي الأحياء) أي: المؤمنون الذين آمنوا بما أنزل الله، والأموات الذين تليت عليهم الآيات البينات ولم ينتفعوا بها، وهؤلاء كانوا بعد إيمان من آمن فأخرهم عن المؤمنين لوجود حياة المؤمنين قبل ممات الكافرين المعاندين، وقدم الأعمى على البصير لوجود الكفار الضالين قبل البعثة على المؤمنين المهتدين بعدها".[1] وقيل: قدم ما قدم فيما عدا الأخير – (أي ولا الأحياء ولا الأموات) – لأنه عدم وله مرتبة السبق، وفي الأخير لأن المراد بالأموات فاقدوا الحياة بعد الاتصاف بها كما يشعر به إرداف ذلك بقوله – تعالى –:﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ فيكون للحياة مع أنها وجودية رتبة السبق أيضا. وقيل: إن تقديم غير أشرف على الأشرف مع انفهام أنه غير أشرف للإشارة إلى أن التقديم صورة لا يخل بشرف الأشرف.

فالنار يعلوها الدخان وربما يعلو الغبار عمائم الفرسان[2]

---

(١) التفسير الكبير ٢٦/ ١٦ .

(٢) روح المعاني ٢٢/ ١٨٧ .

وقيل: إن الغرض الأهم من التقديم هو تفظيع حال الكافر ثم الانتقال إلى حسن حال ضده؛ لأن هذا التشبه جاء لإيضاح ما أفاده القصر في قوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ ....[1] وعلى هذا ندرك أن تقديم ما قدم وتأخير ما أخر من هذه الصفات يضيف دلالة معينة يقتضيها السياق ويتطلبها المقام بالإضافة إلى التناسق اللفظي ومراعاة الفاصلة القرآنية الموحية بجمال الأداء في هذا التوزيع، إذ فيه توازن لألوان الصورة حيث جاءت هكذا. يقول أحد الباحثين المحدثين: "الظل هو نعمة في مقابلة الحرور، وكذلك الحياة نعمة في مقابلة الموت. فقدمت هنا نعمتان على حين قدمت قبلهما آفتان هما العمى والظلمات، وفي هذا التوزيع توازن لألوان الصورة حيث جاءت هكذا: آفتان تقابل نعمتين العمى والبصر والظلام والنور. ونعمتان تقابل آفتين الظل والحرور والحياة والموت ..."."[2] فالتقابل طريقة من طرق التصوير وطريقة من طرق التلحين. والتعبير القرآني يكثر من استخدامها في تنسيق صوره التي يرسمها بالألفاظ على نحو دقيق.

ب ـ أسلوب التكرار وأثره الدلالي:

في السورة الكريمة تكررت بعض الحروف والكلمات في السياق الواحد

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٩٢ .

(٢) دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية ص٥٧٠ .

فهل لهذا الأسلوب من قيمة دلالية؟ أقول: التكرار من الأساليب الشائعة في العربية والقرآن الكريم تثيره في الغالب حاجة المتكلم إلى الاهتمام باللفظ المكرر، وتقرير المعنى الذي يتضمنه الكلام في نفوس متلقيه حتى قيل: إن الكلام إذا تكرر تقرر.[1] وبالنظر في السورة الكريمة نجده على النحو التالي:

١ . تكرار حرف الجر:

في قوله – تعالى –: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[2] فذكر الباء مع البينات والزبر والكتاب المنير هنا في سورة فاطر، ولم يذكر في آية آل عمران ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[3] ذلك أن هذا التكرار يفيد التوكيد، والمقام في فاطر يقتضي هذا التأكيد إذ هو مقام الإنذار والدعوة والتبليغ. وذلك في الآيات من ١٨ إلى ٢٥، فلما كان المقام مقام إنذار وتبليغ كرر الباء؛ لأن هذه هي كتب الإنذار والدعوة والتبليغ، وليس المقام في آل عمران مقام تبليغ وإنذار، بل هو كلام عام وذكر حوادث تاريخية معينة وذلك في الآيتين ١٨٣، ١٨٤، فلما لم يكن المقام كذلك لم يكرر الباء في رسائل الدعوة وكتبها إذ ليس المقام يقتضي ذلك ... ومما يقتضي التوكيد أن فعل

---

(١) الإتقان ٣/ ١٧٩.

(٢) سورة فاطر آية (٢٥).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٨٤).

التكذيب جاء في آل عمران على صيغة الماضي (فإن كذبوك)؛ لأن المقام تعقيب على أمر تاريخي انقضى وحادثة معينة ذهبت. أما في فاطر فجاء بصيغة المضارع (وإن يكذبوك) الدال على التكرار والاستمرار؛ لأن الدعوة مستمرة والتبليغ والإنذار مستمران متكرران فجاء لكل مقام بما يناسبه.(١)

٢ . تكرار أداة النفي لا:

قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ يقول الرازي: "كرر كلمة النفي بين الظلمات والنور والظل والحرور والأحياء والأموات، ولم يكرر بين الأعمى والبصير؛ وذلك لأن التكرير للتأكيد والمنافاة بين الظلمة والنور، والظل والحرور مضادة، فالظلمة تنافي النور وتضاده، والعمى والبصر كذلك، أما الأعمى والبصير فليس كذلك بل الشخص الواحد قد يكون بصيرًا وهو بعينه يصير أعمى، فالأعمى والبصير لا منافاة بينهما إلا من حيث الوصف، أما الظل والحرور فالمنافاة فيهما ذاتية؛ لأن المراد من الظل عدم الحر والبرد فلما كانت المنافاة هناك أتم أكد بالتكرار. وأما الأحياء والأموات وإن كانوا كالأعمى والبصير من حيث أن الجسم الواحد يكون حيا محلا للحياة فيصير ميتا محلا للموت. ولكن المنافاة بين الحي والميت أتم من المنافاة بين الأعمى والبصير، كما بينا أن الأعمى والبصير يشتركان في إدراك الأشياء، ولا كذلك الحي والميت.(٢) كذا قال أبو

(١) التعبير القرآني ص ١٥٦: ١٥٧ بتصرف.

(٢) التفسير الكبير ٢٦/ ١٦.

حيان.[1] فتكرير (لا) إذن هنا إنما هو لتأكيد المنافاة .

٣ . تكرير النفي والفعل المنفي:

تكرر الفعل المنفي مع أداة النفي في السورة في أكثر من موضع ليفيد بتكراره دلالة ما ومن ذلك ما يلي:

– قوله – تعالى –: ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[2] فتكرار الفعل المنفي وهو قوله (لا يمسنا) مع كل من النصب أي التعب، واللغوب أي الكلال أو الضعف؛ ليفيد المبالغة في كل منهما على جهة الاستقلال.[3] يقول أحد الباحثين المحدثين: "فقد ذكر (لا يمسنا) ثانية وحسب المتلقي أن يفهم المعنى لأول وهلة، غير أن النص القرآني يراعي مقتضى الحال، ويعطي لصفة المس السلبي الوظيفة المنوطة بها في توكيد عدم المساس بالنصب واللغوب، ومن هنا تبرز أهمية الذكر كما يوضح ذلك صاحب كتاب البلاغة والأسلوبية بالقول: "وطبيعة الذكر تمثل جانبًا موضوعيًّا في الصياغة باعتبارها قائمة على الوضع اللغوي في الأصل، ومع ذلك فقد قام البلاغيون بتحريك هذا السياق من وضعيته إلى إكسابه لونا من الذاتية يربطه باعتبارات في الأداء مستقلة إلى حد ما عن أصل الوضع، ومتصلة بالمقام في نفس الوقت بالمقام والحال".[4] وكذا قوله –

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٢٩٤ . ٢٩٥.

(٢) سورة فاطر من الآية (٣٥).

(٣) إرشاد العقل السليم ٧/ ١٠٤، وتفسير سورة فاطر – د/ عبدالحسيب طه ص ١٢٠.

(٤) الجنة في القرآن الكريم دراسة في الأسلوب اللغوي صـ ٧٥ – ٧٦ .

تعالى -: ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [١] فالتكرير هنا يفيد زيادة التقرير والتنبيه على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الأمرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والأصالة.[٢] فكل واحد من الأمرين - المقت والخسارة - مستقل باقتضاء قبحه ووجوبه فلو لم يكن الكفر مستوجبا شيئا سوى الخسارة لكفى ذلك قبحًا.[٣] ومنه قوله: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[٤] فنفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني، وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتأكيد انتفائهما.[٥] فالتبديل تغيير الشيء عما كان عليه قبل مع بقاء مادة الأصل كقوله - تعالى - كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[٦] ... والتحويل نقل الشيء من مكان إلى مكان آخر، وسنة الله - ﷻ - لا تبدل ولا تحول، فخص هذا الموضع بالجمع بين الوصفين لما وصف الكافرين بوصفين وذكر لهم غرضين ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾..."."[٧]

---

(١) سورة فاطر آية (٣٩) .

(٢) إرشاد العقل السليم ٧/ ١٥٥ .

(٣) تفسير سورة فاطر – د/ عبدالحسيب طه ص ١٢٩ .

(٤) سورة فاطر من الآية (٤٣) .

(٥) إرشاد العقل السليم ٧/ ١٥٦ .

(٦) سورة النساء من الآية (٥٦) .

(٧) أسرار التكرار في القرآن ص ١٧٧ .

٤ ـ تكرير النهي والفعل المنهي عنه:

ومنه قوله – تعالى –:﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[١] فتكرير فعل النهي – هنا – للمبالغة فيه، ولاختلاف الغرورين في الكيفية.[٢] فتغرير الدنيا يكون بزينتها وزخرفها وشغلهم بمتاعها، وتغرير الشيطان يكون بالغواية والوسوسة، والدفع القوي إلى المعاصي، والإخلال بمعسول القول وباطله، ومختلف الأماني.[٣]

هكذا يتبين أن التكرار في بعض الآيات يحدث إفادة معنوية يقتضيها السياق ومقام الكلام كالتأكيد، والمبالغة، وزيادة التقرير، واختلاف الأمرين المكررين أو انفراد كل منهما بخاصية لا توجد في الآخر، إلى غير من الفوائد التي يحققها هذا الأسلوب والتي عنى السيوطي بتوضيحها.[٤] لذا قيل عن هذا الأسلوب أنه أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة.[٥]

وهكذا تتجلى روائع الأسلوب القرآني في قوة السبك والنظم، وفي ارتقاء المعنى والدلالة، وفي جمال وبلاغة التعبير وروعته.

---

(١) سورة فاطر آية (٥) .

(٢) روح المعاني ٢٢/ ١٦٨ .

(٣) تفسير سورة فاطر ص ٣٢ .

(٤) الإتقان ٣/ ١٧٩ .

(٥) السابق نفسه .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من بعثه الله هاديًا، ومبشرًا، ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا منيرًا، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

وبعد ...

فقد تم هذا البحث بنعمة من الله وفضله، وقد خلص البحث إلى نتائج كثيرة، أهمها ما يلي:

١. ثبوت المناسبة الطبيعية أو الذاتية بين اللفظ والمعنى في بعض الألفاظ والصيغ التي وردت في السورة الكريمة.

٢. تعدد دلالة بعض الحروف والكلمات في السورة الكريمة على سبيل التضمين أو على سبيل الاشتراك اللفظي.

٣. تطور دلالة بعض الألفاظ في اللغة العربية قبل نزول القرآن الكريم وقد عبر القرآن عن ذلك بإيراد اللفظ بالدلالتين القديمة والمتطورة، وفي السورة الكريمة جملة من هذه الألفاظ التي تطورت دلالتها بطريق التخصيص أو التعميم أو النقل المجازي.

٤. تميز المفردة القرآنية بقيمة تعبيرية في موقعها ولا يصح وقوع غيرها في نفس الموقع، وفي جمله وتراكيبه، وفي أساليبه البارعة المبهرة، بل وفي كل ما يتعلق به.

٥. يختار القرآن الكريم المفردة اختيارًا دقيقًا يتناسب مع مضمون الخطاب، فكانت له خصوصيات في استعمال الألفاظ مما يدل على

القصد الواضح في انتقاء المفردة من دون غيرها في هذا الموضع أو ذاك حتى أضحت كالعقد الثمين ذي الفصوص المتنوعة.

٦. اتساق المفردة القرآنية تمام الاتساق مع المعنى المراد من الآية، بل مع السورة كلها أو القرآن الكريم بأجمعه ... وذلك لا يكون إلا للكلام المعجز الذي تحدى أرباب الفصاحة أن يأتوا بمثله.

٧. لدلالة الصيغة التي ترد عليها المفردة القرآنية أثرها الواضح في الكشف عن إبداع المفردة وبيان جماليتها في موضعها الأشكل بها أو الأخص؛ لما تذخر به من المعاني ودرر الكلام، وذلك من خلال السياق القرآني الذي ترد فيه بحيث تكون فيه كالدرة الثمينة وسط عقد أحكم نظمه، والبحث عن أسرار النص القرآني وتوضيح مراميه أو مقاصده وغاياته يوقفنا على جمالية المفردة القرآنية وإبداعها في شتى صورها.

٨. استعمل القرآن الكريم في صوغ مفرداته وفق صيغ العربية استعمالا معجزًا وفريدًا جاء من تنوع الصيغ ذات الأصل الاشتقاقي الواحد تبعًا للسياق، فكانت المفردة على صيغتها الواردة عليها غاية في الدقة الإبداع والإعجاز بحيث لا تصلح صيغة في موضع أختها وإن اتحد التركيب، أو تشابه النظم، بل وإن اتحدت القصة. وكلما أمعن الباحث الفكر في أسرار هذه الصيغ عند استعمالها في أساليب القرآن الكريم، ودقق النظر فيها حينما ترد في آيات الذكر الحكيم وجد أسرارًا عظيمة في استعمال كل صيغة في موضعها المناسب.

٩. لدلالة السياق القرآني أهمية بالغة في تفسير كلام الله – ﷻ – فهي أصل أصيل من أصول هذا العلم، وبإهمالها يضع المفسر قدمه على عتبات الزلل، ويركب مراكب الخلل، وتوسم آراؤه بالعلل، فيعظم الخطب ويصبح جللا.

١٠. يكشف السياق القرآني في السورة الكريمة عن بعض خصائص الأسلوب القرآني ودلالاته من حيث أسرار الجملة العربية، وتباين الأسلوب وروعته، واستعمال الألفاظ في دلالاتها الأولية، وفي انتقالها إلى دلالات أخرى تطورًا كان ذلك في الدلالة، أو تضمينًا، أو استعمالا على سبيل الحقيقة اللغوية تارة أو المجاز تارة ثانية.

فهرس المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن – السيوطي – تح/ سعيد المندوب – دار الفكر/بيروت – ط/ أولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه (التحرير والتنوير) رسالة دكتوراه للباحث/ مشرف بن أحمد جمعان الزهراني – بالمملكة العربية السعودية جامعة أم القرى – عام ١٤٢٦/١٤٢٧هـ.
- أدب الكاتب – ابن قتيبة الدينوري – تح/ محمد محي الدين عبد الحميد – مكتبة السعادة/ مصر – ط/ رابعة ١٩٦٣م.
- الأدوات النحوية في كتب التفسير – د/ محمود أحمد الصغير – دار الفكر/ دمشق ط/ أولى ١٤٢٢هـ.
- أسرار ترتيب القرآن – السيوطي – تح/ عبد القادر أحمد عطا – دار الاعتصام/ القاهرة بدون.
- الأسلوب والأسلوبية – هاف كراهم – ترجمة/ كاظم سعد الدين – دار الآفاق العربية/ العراق ١٩٨٥م.
- الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية) – د/ فتح الله أحمد سليمان – مكتبة الآداب/ القاهرة – بدون.
- أسماء الله الحسنى . دراسة في البنية والدلالة . د/ أحمد مختار عمر . عالم الكتب . ط/ أولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- الأسماء والصفات – أبو بكر البيهقي – تح/ عبد الله بن محمد الحاشدي – مكتبة السوادي/ جدة – ط/ أولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها – عبد الملك بن محمد الثعالبي – تح/ محمد المصري – مكتبة المتنبي/ القاهرة – ط/ أولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم – مقاتل بن سليمان البلخي – تح د/ عبد الله محمود شحاتة – الهيئة المصرية العامة للكتاب/القاهرة ١٩٧٥م.

- أصول الفقه – الشيخ/ محمد الخضري – المكتبة التجارية الكبرى – بدون.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين الشنقيطي – تح/مكتب البحوث والدراسات– دار الفكر/بيروت –١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ (دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن) – د/محمد الأمين الخضري . مطبعة الحسين الإسلامية – ط/أولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- الأمر صيغته ودلالته عند الأصوليين – محمد بن ناصر الشثري – مطابع الفرزدق التجارية/الرياض – ط/ أولى ١٤٠٨هـ.
- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال – ابن المنير السكندري . طبعة مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- الإيضاح في علل النحو – أبو القاسم الزجاجي– تح د/ مازن مبارك – دار النفائس/ بيروت – ط/ سادسة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني – تح الشيخ/ بهيج غزاوي – دار إحياء العلوم/ بيروت ط/ رابعة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- البحر المحيط – أبو حيان الأندلسي – تح الشيخ/ عادل أحمد عبدالموجود، وآخرين – دار الكتب العلمية/ بيروت – ط/ أولى ٢٠٠١م.
- بدائع الفوائد – ابن القيم الجوزية – تح/ هشام عبد العزيز عطا وآخرين – مكتبة مصطفى الباز/ مكة المكرمة – ط/ أولى ١٤١٦/١٩٩٦م.
- البرهان في علوم القرآن – الزركشي – تح/ محمد أبوالفضل إبراهيم – دار المعرفة/ بيروت ١٣٩١هـ.
- البلاغة العربية في ثوبها الجديد – د/ بكري شيخ أمين – دار العلم للملايين – ط/ الخامسة ١٩٩٥م.
- بيان إعجاز القرآن – أبو سليمان الخطابي – ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني) – سلسلة ذخائر العرب – تح/ محمد خلف الله، ود/ محمد زغلول سلام – دار المعارف / مصر – ط/ثالثة – من دون تاريخ.

- البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص للقرآني) – د/ تمام حسان – عالم الكتب.
- تاج العروس من جواهر القاموس – محمد مرتضى الزبيدي – دار الفكر.
- التحرير والتنوير – الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م.
- تخريج الحديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف – جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي . تح/ عبد الله بن عبد الرحمن السعد – دار ابن خزيمة/ الرياض ط/ أولى ١٤١٤هـ.
- ترتيب الأمالي الخميسية للشجري – يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني – رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي – تح/محمد حسن محمد حسن إسماعيل – دار الكتب العلمية/ بيروت – لبنان – الطبعة/ الأولى ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١م.
- التسهيل لعلوم التنزيل – محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي – دار الكتاب العربي/لبنان – ط/ رابعة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- التضمين النحوي في القرآن الكريم – محمد نديم فاضل – دار الزمان، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية – ط/أولى٢٠٠٥م.
- التضمين وأثره في نمو اللغة – د/ عبد الغفار هلال – مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد السابع ١٩٨٩م.
- التعبير القرآني – د/ فاضل صالح السامرائي – دار عمار/ عمان، الأردن – ط/رابعة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) – أبو السعود العمادي – دار إحياء التراث العربي/بيروت.
- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) – الإمام البيضاوي – دار الفكر/ بيروت ١٤٠١هـ.
- تفسير القرآن العظيم – أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي – دار الفكر/ بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- التفسير الكبير – الفخر الرازي – دار الكتب العلمية/بيروت – ط/ أولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- تفسير سورة فاطر – د / عبد الحسيب طه حميدة – مكتبة الكليات الأزهرية.
- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية – د/ أحمد سعد محمد – مكتب الآداب القاهرة – ط/ ثانية ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- جامع البيان عن تأويل أي القرآن – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – دار الفكر/ بيروت ١٤٠٥هـ.
- الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – دار الشعب/ القاهرة.
- الجنى الداني في حروف المعاني – المرادي – تح د/ فخر الدين قباوة، أ/ محمد نديم فاضل – دار الآفاق الجديدة، بيروت ط/ ثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني – دار الفكر/ بيروت، بدون.
- حروف المعاني – أبو القاسم الزجاجي – تح/ على توفيق الحمد – مؤسسة الرسالة بيروت — ط/ أولى ١٩٨٤م.
- الخصائص – ابن جني – تح/ محمد علي النجار – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط/ثالثة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني) – د/ محمد محمد أبو موسى – مكتبة وهبه/القاهرة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية — د/ عبدالعظيم المطعني – مكتبة وهبة – ط/أولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- دراسات في فقه اللغة – د/ محمد الأنطاكي– دار الشرق العربي/بيروت – ط/ رابعة.
- دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية – د/ منير محمود المسيري مكتبة وهبة/ مصر.
- دلالة الألفاظ – د/ إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٧.
- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث – د/ عبدالفتاح البركاوي – دار المنار – ط/ أولى ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- دلالة السياق عند الأصوليين دراسة نظرية –رسالة ماجستير للباحث/ سعد بن مقبل بن عيسى العنزي – جامعة أم القرى بالمملكة السعودية – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في ١٤٢٧/ ١٤٢٨هـ.
- الدلالة اللغوية عند العرب –. د/ عبد الكريم مجاهد – دار الضياء/عمان، الأردن ١٩٨٥م.
- دلائل الإعجاز — عبد القاهر الجرجاني – تح د/ النتيجي – دار الكتاب العربي/بيروت – ط/ أولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – شهاب الدين الألوسي – دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
- سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن – د/عودة الله منيع القيسي – مؤسسة الرسالة/ بيروت – ط/ أولى ١٩٩٦م.
- الشافية في علم التصريف – ابن الحاجب – تح/ حسن أحمد العثماني – المكتبة المكية/ مكة — ط/ أولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- شرح التلخيص في علوم البلاغة – جلال الدين القزويني – تح/ محمد هاشم دويدري – منشورات دار الحكمة/ دمشق ١٩٧٠م.
- شرح الشافية – رضى الدين الإستراباذي – تح/ محمد نور الحسن وآخرين – دار الكتب العلمية/ بيروت ١٩٧٥م
- شرح الكافية – محمد بن إبراهيم بن سعدالله بن جماعة – تح د/ محمد عبد النبي عبد المجيد – ط/ أولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
- شرح المفصل – ابن يعيش – عالم الكتب/ بيروت.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب – ابن هشام الأنصاري – تح/ عبد الغني الدقر – الشركة المتحدة للتوزيع/ سوريا ١٤٠٤/ ١٩٨٤.
- الصاحبي في فقه اللغة – ابن فارس – تح/ السيد أحمد صقر – دار إحياء الكتب العربية/ مصر.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري – تح/أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين/بيروت – ط/ الرابعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري – تح/ محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي/ بيروت – بدون
- صفوة التفاسير – الشيخ/ محمد علي الصابوني – دار القرآن الكريم/ بيروت – ط/ رابعة ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – الإمام/ يحيى بن حمزة العلوي – تح/ عبد الحميد هنداوي – المكتبة العصرية/ بيروت ط/ أولى ١٤٣٣هـ.
- ظواهر أسلوبية في شعر شوقي – د/صلاح فضل . (مجلة فصول . المجلد الأول . العدد الرابع ١٩٨١).
- علم الدلالة (دراسة نظرية وتطبيقية) – د/ فريد عوض حيدر – مكتبة النهضة المصرية–ط/ ثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- علم الدلالة – د/ أحمد مختار عمر– عالم الكتب/مصر–ط/ خامسة ١٩٩٨م.
- علم اللغة العام أسسه ومناهجه – د/ عبدالله ربيع، بدون.
- العين – الخليل بن أحمد – تح د/ مهدي المخزومي، ود/ إبراهيم السامرائي– مكتبة الهلال.
- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير – الشوكاني – دار الفكر/ بيروت.
- فقه اللغة وخصائص العربية – د/ محمد المبارك.
- الفوائد في مشكل القرآن – العز بن عبد السلام – تح/ سيد رضوان علي الندوي – مطبوعات وزارة الأوقاف بالكويت ١٩٦٧م.
- الكتاب – سيبويه – تح/ عبد السلام هارون – دار الجيل/بيروت – ط/أولى . بدون
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل أو وجوه التأويل – الزمخشري – تح/ عبد الرازق المهدي – دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

- الكلمة دراسة لغوية ومعجميه – د/ حلمي خليل – الهيئة المصرية العامة للكتاب/ الإسكندرية ١٩٨٠م.
- لباب النقول في أسباب النزول – جلال الدين السيوطي – دار إحياء العلوم /بيروت – بدون.
- لسان العرب – ابن منظور – دار صادر/ بيروت – ط/أولى.
- اللغة . فندريس – تر . د/ عبد الحميد الدواخلي، ود/ محمد القصاص – طبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٠م.
- اللغة معناها ومبناها – د/تمام حسان . عالم الكتب ط/ثالثة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – ابن الأثير – تح/ محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية/ بيروت ١٩٩٥م.
- مجموع الفتاوى – ابن تيمية – جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها – ابن جني – تح/ علي النجدي ناصف وآخرين – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية/القاهرة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – ابن عطية الأندلسي – تح/ عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية/بيروت – ط/أولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- المحكم والمحيط الأعظم – ابن سيدة – تح / حسن هنداوي – دار الكتب العلمية – ط/ أولى ٢٠٠٠م.
- مختار الصحاح – أبو بكر بن عبد القادر الرازي –تح/ يوسف الشيخ محمد – المكتبة العصرية – الدار النموذجية/ بيروت — صيدا — الطبعة/ الخامسة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م
- مدخل إلى فقه اللغة – د/ أحمد محمد قدور – دار الفكر المعاصر/ بيروت – ط/ أولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها – السيوطي – تح/ محمد جاد المولى وآخرين – المكتبة العصرية/ بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

- معجم مقاييس اللغة – ابن فارس – تح/ عبد السلام هارون – دار الجيل/ بيروت.
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب – ابن هشام الأنصاري – تح د/ مازن المبارك، ود/ محمد علي حمد الله – دار الفكر/ دمشق – ط/ سادسة ١٩٨٥م.
- مفردات ألفاظ القرآن – الراغب الأصفهاني – دار القلم/ دمشق – بدون.
- من أسرار اللغة – د/ إبراهيم أنيس – الأنجلو المصرية – ط/ سابعة ١٩٩٤م.
- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم – د/ محمد الأمين الخضري – مكتبة وهبه/ القاهرة، مصر – ط/ أولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء وثم) – د/ محمد الأمين الخضري – مكتبة وهبة – ط/ ثانية ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن – محمد عبد العظيم الزرقاني – دار الفكر/ لبنان – ط/ أولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- نحو اللغة العربية – د/ محمد أسعد النادي – المكتبة العصرية/ بيروت – ط/ ثانية ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- النحو الوافي – د/ عباس حسن – دار المعارف/ مصر – ط رابعة . بدون
- نظرات في دلالة الألفاظ – د/ عبد الحميد محمد أبو سكين – مطبعة الأمانة ١٤٠٤/١٩٨٤م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – برهان الدين أبي الحسن البقاعي – تح/ عبد الرازق غالب المهدي – دار الكتب العلمية/بيروت – ط/أولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع – السيوطي – تح/ عبد الحميد هنداوي – المكتبة التوفيقية.
- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز – أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني – تح/ محمد حسن أبو العزم الزفيتي – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية/ القاهرة، مصر ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

fhrs AlmSAdr wAlmrAj-ç
• AlĂtqAn fy çlwm AlqrĀn - AlsywTy - tH/ sçyd Almndwb – dAr Alfkr/byrwt – T/ ÂwlŶ 1416h1996/-m.
• Âθr AldlAlAt Allγwyħ fy Altfsyr çnd AlTAhr bn çAŝwr fy ktAbh (AltHryr wAltnwyr) rsAlħ dktwrAh llbAHθ/ mŝrf bn ÂHmd jmçAn AlzhrAny - bAlmmlkħ Alçrbyħ Alsçwdyħ jAmçħ Âm AlqrŶ - çAm 1426/1427h-.
• Âdb AlkAtb - Abn qtybħ Aldynwry - tH/ mHmd mHy Aldyn çbd AlHmyd - mktbħ AlsçAdħ/ mSr - T/ rAbçħ 1963m.
• AlÂdwAt AlnHwyħ fy ktb Altfsyr - d/ mHmwd ÂHmd AlSγyr - dAr Alfkr/ dmŝq T/ ÂwlŶ 1422h-.
• ÂsrAr trtyb AlqrĀn - AlsywTy - tH/ çbd AlqAdr ÂHmd çTA - dAr AlAçtSAm/ AlqAhrħ bdwn.
• AlÂslwb wAlÂslwbyħ - hAf krAhm - trjmħ/ kAĎm sçd Aldyn - dAr AlĀfAq Alçrbyħ/ AlçrAq 1985m.
• AlÂslwbyħ (mdxl nĎry wdrAsħ tTbyqyħ) - d/ ftH Allh ÂHmd slymAn - mktbħ AlĀdAb/ AlqAhrħ - bdwn.
• ÂsmA' Allh AlHsnŶ - drAsħ fy Albnyħ wAldlAlħ - d/ ÂHmd mxtAr çmr - çAlm Alktb - T/ ÂwlŶ 1417h/ 1997m.
• AlÂsmA' wAlSfAt – Âbw bkr Albyhqy - tH/ çbd Allh bn mHmd AlHAŝdy - mktbħ AlswAdy/ jdħ - T/ ÂwlŶ 1413h1993 /-m.
• AlÂŝbAh wAlnĎAŶr fy AlÂlfAĎ AlqrĀnyħ Alty trAdft mbAnyhA wtnwçt mçAnyhA - çbd Almlk bn mHmd AlθçAlby - tH/ mHmd AlmSry - mktbħ Almtnby/ AlqAhrħ - T/ ÂwlŶ 1404h/1984m.
• AlÂŝbAh wAlnĎAŶr fy AlqrĀn Alkrym - mqAtl bn slymAn Alblxy - tH d/ çbd Allh mHmwd ŝHAtħ - AlhyŶħ AlmSryħ AlçAmħ llktAb/AlqAhrħ 1975m.
• ÂSwl Alfqh – Alŝyx/ mHmd AlxDry - Almktbħ AltjAryħ AlkbrŶ - bdwn.
• ÂDwA' AlbyAn fy ĂyDAH AlqrĀn bAlqrĀn - mHmd AlÂmyn Alŝnqyty - tH/mktb AlbHwθ wAldrAsAt- dAr Alfkr/byrwt -1415h/1995m.
• AlĂçjAz AlbyAny fy Syγ AlÂlfAĎ (drAsħ tHlylyħ llĂfrAd wAljmç fy AlqrĀn) - d/mHmd AlÂmyn AlxDry - mTbçħ AlHsyn AlĂslAmyħ - T/ÂwlŶ 1413h1993 /-m.
• AlÂmr Syγth wdlAlth çnd AlÂSwlyyn - mHmd bn nASr Alŝθry - mTAbç Alfrzdq AltjAryħ/AlryAD - T/ ÂwlŶ 1408h.
• AlĂnSAf fymA tDmnh AlkŝAf mn AlAçtzAl - Abn Almnyr Alskndry - Tbçħ mSTfŶ AlbAby AlHlby/ AlqAhrħ 1392h/ 1972m.
• AlĂyDAH fy çll AlnHw - Âbw AlqAsm AlzjAjy- tH d/ mAzn mbArk - dAr AlnfAŶs/ byrwt - T/ sAdsħ 1416h/ 1996m.
• AlĂyDAH fy çlwm AlblAγħ - AlxTyb Alqzwyny - tH Alŝyx/ bhyj γzAwy - dAr ĂHyA' Alçlwm/ byrwt T/ rAbçħ 1419h1998 /-m.
• AlbHr AlmHyT - Âbw HyAn AlÂndlsy - tH Alŝyx/ çAdl ÂHmd çbdAlmwjwd، wĀxryn - dAr Alktb Alçlmyħ/ byrwt - T/ ÂwlŶ 2001m.
• bdAŶç AlfwAŶd - Abn Alqym Aljwzyħ - tH/ hŝAm çbd Alçzyz çTA wĀxryn - mktbħ mSTfŶ AlbAz/ mkħ Almkrmħ - T/ ÂwlŶ 1416/1996m.

• AlbrhAn fy çlwm AlqrĀn - Alzrkŝy - tH/ mHmd ÂbwAlfDl ĂbrAhym - dAr Almçrfħ/ byrwt 1391h.
• AlblAγħ Alçrbyħ fy θwbhA Aljdyd - d/ bkry ŝyx Âmyn - dAr Alçlm llmlAyyn - T/ AlxAmsħ 1995m.
• byAn ĂçjAz AlqrĀn – Âbw slymAn AlxTAby – Dmn (θlAθ rsAŶl fy ĂçjAz AlqrĀn llrmAny wAlxTAby wçbdAlqAhr AljrjAny) – slslħ ðxAŶr Alçrb – tH/ mHmd xlf Allh‹ wd/ mHmd zγlwl slAm – dAr AlmçArf / mSr – T/θAlθħ – mn dwn tAryx.
• AlbyAn fy rwAŶç AlqrĀn (drAsħ lγwyħ wÂslwbyħ llnS llqrĀny) - d/ tmAm HsAn - çAlm Alktb.
• tAj Alçrws mn jwAhr AlqAmws - mHmd mrtDŶ Alzbydy - dAr Alfkr.
• AltHryr wAltnwyr - Alŝyx / mHmd AlTAhr bn çAŝwr - AldAr Altwnsyħ llnŝr - twns 1984m.
• txryj AlHdyθ wAlĀθAr AlwAqçħ fy tfsyr AlkŝAf - jmAl Aldyn çbd Allh bn ywsf bn mHmd Alzylçy - tH/ çbd Allh bn çbd AlrHmn Alsçd - dAr Abn xzymħ/ AlryAD T/ ÂwlŶ 1414h.
• trtyb AlÂmAly Alxmysyħ llŝjry - yHyŶ (Almrŝd bAllh) bn AlHsyn (Almwfq) bn ĂsmAçyl bn zyd AlHsny Alŝjry AljrjAny - rtbhA: AlqADy mHyy Aldyn mHmd bn ÂHmd Alqrŝy Alçbŝmy – tH/mHmd Hsn mHmd Hsn ĂsmAçyl - dAr Alktb Alçlmyħ/ byrwt – lbnAn – AlTbçħ/ AlÂwlŶ 1422 h2001/-m.
• Altshyl lçlwm Altnzyl - mHmd bn ÂHmd bn mHmd AlγrnATy - dAr AlktAb Alçrby/lbnAn - T/ rAbçħ 1403h/ 1983m.
• AltDmyn AlnHwy fy AlqrĀn Alkrym - mHmd ndym fADl - dAr AlzmAn‹ Almdynħ Almnwrħ - Almmlkħ Alçrbyħ Alsçwdyħ - T/ÂwlŶ2005m.
• AltDmyn wÂθrh fy nmw Allγħ - d/ çbd AlγfAr hlAl - mjlħ klyħ Allγħ Alçrbyħ bAlqAhrħ Alçdd AlsAbç 1989m.
• Altçbyr AlqrĀny – d/ fADl SAlH AlsAmrAŶy – dAr çmAr/ çmAn‹ AlÂrdn – T/rAbçħ 1427h/2006m.
• tfsyr ÂbŶ Alsçwd (ĂrŝAd Alçql Alslym ĂlŶ mzAyA AlqrĀn Alkrym) – Âbw Als-çwd Alçmady – dAr ĂHyA' AltrAθ Alçrby/byrwt.
• tfsyr AlbyDAwy (ÂnwAr Altnzyl wÂsrAr AltÂwyl) - AlĂmAm AlbyDAwy - dAr Alfkr/ byrwt 1401h.
• tfsyr AlqrĀn AlçĎym - Âbw AlfdA' ĂsmAçyl bn kθyr Aldmŝqy - dAr Alfkr/ byrwt 1401h/1981m.
• Altfsyr Alkbyr - Alfxr AlrAzy - dAr Alktb Alçlmyħ/byrwt - T/ ÂwlŶ 1421h2000 /-m.
• tfsyr swrħ fATr - d / çbd AlHsyb Th Hmydħ - mktbħ AlklyAt AlÂzhryħ.
• Altwjyh AlblAγy llqrA'At AlqrĀnyħ - d/ ÂHmd sçd mHmd - mktb AlĀdAb AlqAhrħ - T/ θAnyħ 1421h/ 2000m.
• jAmç AlbyAn çn tÂwyl Ây AlqrĀn - Âbw jçfr mHmd bn jryr AlTbry - dAr Alfkr/ byrwt 1405h.
• AljAmç lÂHkAm AlqrĀn - AlqrTby - dAr Alŝçb/ AlqAhrħ.

• AljnŶ AldAny fy Hrwf AlmçAny - AlmrAdy - tH d/ fxr Aldyn qbAwħ، Â/ mHmd ndym fADl - dAr AlĀfAq Aljdydħ، byrwt T/ θAnyħ 1403h/ 1983m.
• HAŝyħ AlSbAn çlŶ ŝrH AlÂŝmwny - dAr Alfkr/ byrwt، bdwn.
• Hrwf AlmçAny - Âbw AlqAsm AlzjAjy - tH/ çlŶ twfyq AlHmd - mŵssħ AlrsAlħ byrwt – T/ ÂwlŶ 1984m.
• AlxSAŶS - Abn jny - tH/ mHmd çly AlnjAr - AlhyŶħ AlmSryħ AlçAmħ llktAb - T/θAlθħ 1406h1986 /-m.
• xSAŶS AltrAkyb (drAsħ tHlylyħ lmsAŶl çlm AlmçAny) - d/ mHmd mHmd Âbw mwsŶ - mktbħ whbh/AlqAhrħ 1427h/ 2006m.
• xSAŶS Altçbyr AlqrĀny wsmAth AlblAγyħ – d/ çbdAlçĎym AlmTçny - mktbħ whbħ - T/ÂwlŶ 1413h1992/-m.
• drAsAt fy fqh Allγħ - d/ mHmd AlÂnTAky- dAr Alŝrq Alçrby/byrwt - T/ rAbçħ.
• dlAlAt Altqdym wAltÂxyr fy AlqrĀn Alkrym drAsħ tHlylyħ - d/ mnyr mHmwd Almsyry mktbħ whbħ/ mSr.
• dlAlħ AlÂlfAĎ - d/ ĂbrAhym Ânys - mktbħ AlÂnjlw AlmSryħ 1997.
• dlAlħ AlsyAq byn AltrAθ wçlm Allγħ AlHdyθ - d/ çbdAlftAH AlbrkAwy - dAr AlmnAr - T/ ÂwlŶ 1411h/1991m.
• dlAlħ AlsyAq çnd AlÂSwlyyn drAsħ nĎryħ -rsAlħ mAjstyr llbAHθ/ sçd bn mqbl bn çysŶ Alçnzy - jAmçħ Âm AlqrŶ bAlmmlkħ Alsçwdyħ - klyħ Alŝryçħ wAldrAsAt AlĂslAmyħ fy 1427/ 1428h-.
• AldlAlħ Allγwyħ çnd Alçrb -. d/ çbd Alkrym mjAhd - dAr AlDyA'/çmAn، AlÂrdn 1985m.
• dlAŶl AlĂçjAz – çbd AlqAhr AljrjAny - tH d/ Alntyjy - dAr AlktAb Alçrby/byrwt - T/ ÂwlŶ 1415h/ 1995m.
• rwH AlmçAny fy tfsyr AlqrĀn AlçĎym wAlsbç AlmθAny - ŝhAb Aldyn AlÂlwsy - dAr ĂHyA' AltrAθ Alçrby/ byrwt.
• sr AlĂçjAz fy tnwç AlSyγ Almŝtqħ mn ÂSl lγwy wAHd fy AlqrĀn - d/çwdħ Allh mnyç Alqysy - mŵssħ AlrsAlħ/ byrwt - T/ ÂwlŶ 1996m.
• AlŝAfyħ fy çlm AltSryf - Abn AlHAjb - tH/ Hsn ÂHmd Alçθ mAny - Almktbħ Almkyħ/ mkħ – T/ ÂwlŶ 1415h/ 1995m.
• ŝrH AltlxyS fy çlwm AlblAγħ - jlAl Aldyn Alqzwyny - tH/ mHmd hAŝm dwydry - mnŝwrAt dAr AlHkmħ/ dmŝq 1970m.
• ŝrH AlŝAfyħ - rDŶ Aldyn AlĂstrAbAzy - tH/ mHmd nwr AlHsn wĀxryn - dAr Alktb Alçlmyħ/ byrwt 1975m
• ŝrH AlkAfyħ - mHmd bn ĂbrAhym bn sçdAllh bn jmAçħ - tH d/ mHmd çbd Alnby çbd Almjyd - T/ ÂwlŶ 1408h/1987m.
• ŝrH AlmfSl - Abn yçyŝ - çAlm Alktb/ byrwt.
• ŝrH ŝðwr Alðhb fy mçrfħ klAm Alçrb - Abn hŝAm AlÂnSAry - tH/ çbd Alγny Aldqr - Alŝrkħ AlmtHdħ lltwzyç/ swryA 1404/ 1984.
• AlSAHby fy fqh Allγħ - Abn fArs - tH/ Alsyd ÂHmd Sqr - dAr ĂHyA' Alktb Alçrbyħ/ mSr.

• AlSHAH tAj Allγħ wSHAH Alçrbyħ - Âbw nSr ĂsmAçyl bn HmAd Aljwhry – tH/ÂHmd çbd Alγfwr çTAr - dAr Alçlm llmlAyyn/byrwt – T/ AlrAbçħ 1407h/1987m.
• SHyH mslm llĂmAm mslm bn AlHjAj AlnysAbwry - tH/ mHmd fŵAd çbd AlbAqy dAr ĂHyA' AltrAθ Alçrby/ byrwt - bdwn
• Sfwħ AltfAsyr - Alŝyx/ mHmd çly AlSAbwny - dAr AlqrĀn Alkrym/ byrwt - T/ rAbçħ 1402h/1981m.
• AlTrAz lÂsrAr AlblAγħ wçlwm HqAŶq AlĂçjAz – AlĂmAm/ yHyŶ bn Hmzħ Alçlwy - tH/ çbd AlHmyd hndAwy - Almktbħ AlçSryħ/ byrwt T/ ÂwlŶ 1433h.
• ĎwAhr Âslwbyħ fy ŝçr ŝwqy – d/SlAH fDl - (mjlħ fSwl - Almjld AlÂwl - Alçdd AlrAbç 1981).
• çlm AldlAlħ (drAsħ nĎryħ wtTbyqyħ) - d/ fryd çwD Hydr - mktbħ AlnhDħ AlmSryħ-T/ θAnyħ 1419h/1999m.
• çlm AldlAlħ - d/ ÂHmd mxtAr çmr- çAlm Alktb/mSr-T/ xAmsħ 1998m.
• çlm Allγħ AlçAm Âssh wmnAhjh - d/ çbdAllh rbyç، bdwn.
• Alçyn - Alxlyl bn ÂHmd - tH d/ mhdy Almxzwmy، wd/ ĂbrAhym AlsAmrAŶy- mktbħ AlhlAl.
• ftH Alqdyr AljAmç byn fnŶ AlrwAyħ wAldrAyħ mn çlm Altfsyr – AlŝwkAny - dAr Alfkr/ byrwt.
• fqh Allγħ wxSAŶS Alçrbyħ - d/ mHmd AlmbArk.
• AlfwAŶd fy mŝkl AlqrĀn - Alçz bn çbd AlslAm - tH/ syd rDwAn çly Alndwy - mTbwçAt wzArħ AlÂwqAf bAlkwyt 1967m.
• AlktAb - sybwyh - tH/ çbd AlslAm hArwn - dAr Aljyl/byrwt - T/ÂwlŶ - bdwn
• AlkŝAf çn HqAŶq Altnzyl wçywn AlÂqAwyl Âw wjwh AltÂwyl - Alzmxŝry - tH/ çbd AlrAzq Almhdy - dAr ĂHyA' AltrAθ Alçrby/ byrwt.
• Alklmħ drAsħ lγwyħ wmçjmyh - d/ Hlmy xlyl - AlhyŶħ AlmSryħ AlçAmħ llktAb/ AlĂskndryħ 1980m.
• lbAb Alnqwl fy ÂsbAb Alnzwl - jlAl Aldyn AlsywTy - dAr ĂHyA' Alçlwm /byrwt - bdwn.
• lsAn Alçrb - Abn mnĎwr - dAr SAdr/ byrwt - T/ÂwlŶ.
• Allγħ - fndrys - tr - d/ çbd AlHmyd AldwAxly، wd/ mHmd AlqSAS - Tbçħ ljnħ AlbyAn Alçrby 1950m.
• Allγħ mçnAhA wmbnAhA - d/tmAm HsAn - çAlm Alktb T/θAlθħ 1418h/1998m
• Almθl AlsAŶr fy Âdb AlkAtb wAlŝAçr - Abn AlÂθyr - tH/ mHmd mHy Aldyn çbd AlHmyd - Almktbħ AlçSryħ/ byrwt 1995m.
• mjmwç AlftAwŶ - Abn tymyħ - jmç wtrtyb/ çbd AlrHmn bn mHmd bn qAsm - mjmç Almlk fhd lTbAçħ AlmSHf Alŝryf bAlmdynħ Almnwrħ 1425h2004/-m.
• AlmHtsb fy tbyyn wjwh ŝwAð AlqrA'At wAlĂyDAH çnhA - Abn jny - tH/ çly Alnjdy nASf wĀxryn - Almjls AlÂçlŶ llŝŶwn AlĂslAmyħ/AlqAhrħ 1415h1994 /-m.

• AlmHrr Alwjyz fy tfsyr AlktAb Alçzyz - Abn çTyħ AlÂndlsy - tH/ çbd AlslAm çbd AlŝAfy mHmd - dAr Alktb Alçlmyħ/byrwt - T/ÂwlŶ 1413h1993/-m.
• AlmHkm wAlmHyT AlÂçĎm - Abn sydħ - tH / Hsn hndAwy - dAr Alktb Alçlmyħ - T/ ÂwlŶ 2000m.
• mxtAr AlSHAH - Âbw bkr bn çbd AlqAdr AlrAzy -tH/ ywsf Alŝyx mHmd - Almktbħ AlçSryħ - AldAr Alnmwðjyħ/ byrwt – SydA – AlTbçħ/ AlxAmsħ 1420h1999/-m
• mdxl ĂlŶ fqh Allγħ - d/ ÂHmd mHmd qdwr - dAr Alfkr AlmçASr/ byrwt - T/ ÂwlŶ 1413h1993/-m.
• Almzhr fy çlwm Allγħ wÂnwAçhA - AlsywTy - tH/ mHmd jAd AlmwlŶ wĀxryn - Almktbħ AlçSryħ/ byrwt 1408h1987/-m.
• mçjm mqAyys Allγħ - Abn fArs - tH/ çbd AlslAm hArwn - dAr Aljyl/ byrwt.
• mγnŶ Allbyb çn ktb AlÂçAryb - Abn hŝAm AlÂnSAry - tH d/ mAzn AlmbArk، wd/ mHmd çly Hmd Allh - dAr Alfkr/ dmŝq - T/ sAdsħ 1985m.
• mfrdAt ÂlfAĎ Alqrān - AlrAγb AlÂSfhAny - dAr Alqlm/ dmŝq - bdwn.
• mn ÂsrAr Allγħ - d/ ĂbrAhym Ânys - AlÂnjlw AlmSryħ - T/ sAbçħ 1994m.
• mn ÂsrAr Hrwf Aljr fy Alðkr AlHkym - d/ mHmd AlÂmyn AlxDry - mktbħ whbh/ AlqAhrħ، mSr - T/ ÂwlŶ 1409h/1989m.
• mn ÂsrAr Hrwf AlçTf fy Alðkr AlHkym (AlfA' wθm) - d/ mHmd AlÂmyn AlxDry - mktbħ whbħ - T/ θAnyħ 1427h/ 2007m.
• mnAhl Alçrfan fy çlwm Alqrān - mHmd çbd AlçĎym AlzrqAny - dAr Alfkr/ lbnAn - T/ ÂwlŶ 1416h1996/-m.
• nHw Allγħ Alçrbyħ - d/ mHmd Âsçd AlnAdy - Almktbħ AlçSryħ/ byrwt - T/ θAnyħ 1418h/1997m.
• AlnHw AlwAfy - d/ çbAs Hsn - dAr AlmçArf/ mSr - T rAbçħ - bdwn
• nĎrAt fy dlAlħ AlÂlfAĎ - d/ çbd AlHmyd mHmd Âbw skyn - mTbçħ AlÂmAnħ 1404/1984m.
• nĎm Aldrr fy tnAsb AlĀyAt wAlswr - brhAn Aldyn ÂbŶ AlHsn AlbqAçy - tH/ çbd AlrAzq γAlb Almhdy - dAr Alktb Alçlmyħ/byrwt - T/ÂwlŶ 1415h/ 1995m.
• hmç AlhwAmç fy ŝrH jmç AljwAmç - AlsywTy - tH/ çbd AlHmyd hndAwy - Almktbħ Altwfyqyħ.
• Alwjwh wAlnĎAŶr lÂlfAĎ ktAb Allh Alçzyz – Âbw çbd Allh AlHsyn bn mHmd AldAmγAny - tH/ mHmd Hsn Âbw Alçzm Alzfyty - Almjls AlÂçlŶ llŝŶwn AlĂslAmyħ/ AlqAhrħ، mSr 1416h/1996m.